أعلام المسلمين
١٤

عُبادة بن الصّامت رضي الله عنه

صحابي كبير و فاتح مجاهد

الدكتور وهبة الزحيلي



دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين

١٤

عُبادة بن الصّامت رضي الله عنه

صحابي كبير و فاتح مجاهد

الدكتور وهبة الزحيلي

دار القلم

دمشق

الطبعة الثالثة
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١

هٰـذَا الرَّجُـل

« ارجع إلى مكانك ، فقبح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك ».
عمر بن الخطاب

« شهد عبادة بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ » .
ابن سعد في الطبقات الكبرى

« كان بايع رسول الله ﷺ أن لا يخاف في الله لومة لائم » .
ابن عساكر في تاريخه

« غزا أرض الروم مع معاوية ، حضر فتوحات الشام وثغورها وسواحلها ، فتح اللاذقية وجبلة وطرطوس وقبرص ، اشترك في فتح مصر والاسكندرية » .
ابن ماجه في سننه وفتوح البلدان

« كاتب الوحي وجامع القرآن في عهد الرسول ﷺ ، ومعلم القرآن وراوي الحديث وفقيه الشام وقاضي فلسطين » .
ابن حجر في تهذيب التهذيب وابن حبان وغيرهما

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على قائد الرسل الكرام وعلى آله وصحبه الغر الميامين .

وبعد : فإن تاريخ الإسلام الأنضر هو صنيعة تلك الفتية الذين آمنوا بربهم ، ونسيج أولئك الرجال الأشداء الذين ضحوا بدمائهم وعرقهم وجهودهم في سبيل الله والحق ، بعد أن تربّوا في مدرسة الإيمان الصحيح ، وانتهلوا من معين النبوة المشرقة ، والتزموا هدى الله تعالى التزاماً دقيقاً في مختلف الأحوال ، فهم بكلمة موجزة ـ إن أجيز هذا التعبير ـ : أبناء النبوة والوحي .

ومعرفة سير هؤلاء السلف الصالح تفصيلاً لا تقل أهمية في تقديري عن معرفة أحكام القرآن والسنة النبوية ؛ لأنهم كانوا التراجمة الأمناء لعقيدتهم ، ومثلوا الصورة الحية الشاخصة لمبادىء الإسلام . فبمقدار نجاحهم وإخلاصهم في تمثل تلك المبادىء أصبحوا عناوينها ، وحكم عليها بالأصالة والمتانة والسلامة فيما تخطط وتهدف وتصور وتحقق : « إنهم فتية آمنوا بربهم ، وزدناهم هدى » (١) .

---

(١) الآية ١٣ من سورة الكهف .

ومما ضاعف ضرورة معرفة تاريخ رجالاتنا الأوائل ما نعيشه الآن من تمزق وانقسام ، وضـَيْعة وهوان ، وتوالي ضربات جسام في صميم الكرامة والعزة والمقدسات ، مما أوغر الصدور ، وأثار الحميـة ، وغذى الحماسة ، وحرك لواعج الشوق والحنين في نفوس الآلاف المؤلفة مـن الشباب المؤمن لمعرفـة كيفيات صنع الأوائل ، وإغنـاء الأفكار بسيرة النماذج الفذة في سجل حيـاة الإسلام الغابرة ، كيما يقتدي الأبناء بالآبـاء ، ويتأسى الصغـار بالكبار في الأفعال لا في الأقوال ، وتدرك حينئـذ مناحي النقص والقصور في وقت عز فيه وجود القائد الناجح ، والمفكر الواعي ، والمجاهد الحق ، ونضب في أوساطه وارد المؤثر النّفاذ في حيـاة الأمة والبلاد .

وقدّر النشء بدهياً مدى الحاجة الملحة للاطلاع على سير السابقين في الإسلام ، لتأكيد وتحقيق وجود الـذات المسلمة في عصر التسابق العلمي ، والصراع الشديد على توفير النفوذ والتقدم والسيطرة على مقدرات الأمم الضعيفة ، ومحاولة كل شعب إرساء قواعد الصمود في وجه التحديات حتى لا يتزحزح أصحاب الحق عن مواطنهم .

ومن أهم تلك المحاولات توليد الرغبات ودفع الافراد نحو البناء والإنتاج والعطاء . وظهر من وسائل الترغيب احياناً أن

الشعوب التي لا تجد لها ماضياً يذكر أو حضارة تعرف ، تصطنع لأبنائها أبطالاً أسطوريين ، وتنسج حولهم ملاحم شعرية أو قصصاً خيالية لا تعدو أن تكون من وضع الأدباء ، وخيال المفكرين والكتاب المؤرخين ـ فيتناقل الناس أخبارهم وتقام لهم التماثيل ، وتسمى بأسمائهم الشوارع والميادين ، ويردّد أناشيد بطولاتهم الأطفال في مدارسهم ، وقد ينتقل صيتهم ، وتذاع شهرتهم في الأقاليم المجاورة .

ونحن ولله الحمد بتاريخنا القريب الثابت بالنسبة للأمم الغابرة أثرياء بأبطالنا الحقيقيين ، وبالذات في حقبة المائة الأولى من ظهور الإسلام التي كانت من معجزات التاريخ . فالخلفاء الراشدون ومن عاصرهم من صحب رسول الله ﷺ ، كانوا مثلاً رائعة في كل مجال ، وشموساً مضيئة في غرة جبين الزمان . ولا سبيل لإعادة مجدنا أو الحفاظ على وجودنا إلا بفلتات مشابهة من طراز السابقين ، الذين عاشوا بفطرة الإسلام والتزموا أدبه ، وناضلوا من أجل الحق والخير ، وقمعوا الباطل وقاوموا الشر ، وعملوا بإخلاص في سبيل المجد والرفعة وعلو الشأن ، ممثلاً ذلك كله تحت عنوان خالد هو : الجهاد في سبيل الله تعالى .

وعبادة بن الصامت رضي الله عنه من ذلك الطراز الشامخ الذي يجدر بنا التعرف على سيرته المترعة بجلائل الأعمال ؛ تديّناً

وورعاً ، وخلقا وسلوكاً ، وعلماً وفضلاً ، وعملاً وإنتاجاً ، وولاية وقيادة وحكمة ، وجهاداً متواصلاً ، وهمة عالية وعقلاً راجحاً ، بوأه كل ذلك أن يكون ـ كما أرخ المؤرخون ـ من سادات الصحابة ، وكان أحد النقباء (١) الاثني عشر ليلة العقبة .

ومصدر عبقرية عبادة وعظمته في التاريخ أنه عمل كثيراً ، وأجاد في كل عمل ، وجال في كل ميدان ، رغم أنه خافت الذكر ، صامت الشهرة بين الناس ، وكأن صمت أبيه قد انعكس عليه ، فمنع انتشار صيته وإشاعة سمعته . وهذه سمة المخلصين من العظماء الذين يؤثرون التواضع والركود على الشهرة وإذاعة الأحاديث المطولة عن اعمالهم . فابن الصامت وإن لم ينصفه التاريخ، وقلت التراجم والأخبار عنه ، إلا أن القليل منها كثير معبر ، له مدلول كبير ، فهو لا يقل أهمية وأثراً في رحاب البطولات والفتوحات عن خالد بن الوليد وامثاله من كبار الفاتحين الشجعان، وميزته البارزة : عقيدة لا تتجزأ ، ومتانة في الوازع الديني ، واستقامة في الحياة .

---

(١) النقباء : جمع نقيب ، والنقيب : العريف وهو شاهد القوم وضمينهم وسيدهم . ونقيب الأشراف المسلمين : الذي ينقب عن أحوالهم .

لذا احببت الكتابة عنه ، إنصافاً له ، وتخليداً لذكراه ، لما له من الآثار الكبرى في سجل الخالدين ، وبمقدار ما شغفت به منذ أمد طويل ، كنت اجعله حديث المجالس لدى التحدث عن كبار الصحابة الفاتحين ، واسميت ابني الاكبر باسمه ، واهديته هذا الكتاب عنه ، كي يكون له نعم القدوة ، ورائد العمل ، واسوة السيرة في الحياة الشاقة المعقدة ذات التيارات الجارفة .

فلتنعم روحه الطاهرة في عداد الأبرار الأطهار ، المستغفرين بالأسحار ، رهبان الليل ، فرسان النهار ، الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، طيب الله ثراه في أرض الله ، ورضي عنه مع الشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقاً .

خطة البحث :

قسمت الكلام عن عبادة بن الصامت إلى تمهيـد وخمسة فصول وخاتمة .

اما التمهيد : فاجيب فيه عن سؤالين خطرا ببالي وهما :

١ً ـ ما السبب في تجمع عدة خصائص في رجل الإسلام الأول ؟

٢ً ـ ما هي عناصر ومقومات التفوق في شخصية عبادة ؟

وأما الفصل الأول : فهو في حياته الشخصية . ويشمل الكلام عن اسمه ولقبه وكنيته ، ولادته ووالديه ، واولاده ، واوصافه

الجسدية وهيئته ، وزوجته ، أخوه « أوس » ، مؤاخاته لأبي مرثد الغَنَوي ، وفاته ، وصيته حين الموت .

وأما الفصل الثاني : فهو في عصره ـ عصر الصحابة ـ وبداية إسلامه (سبقه إلى الإسلام) ، ومنزلته بين الصحب الكرام .

والفصل الثالث : في حياته الأدبية الخالدة ومقوماته الذاتية. ويشمل الكلام عن إيمانه الراسخ ، وتقواه (زهده وورعه وعبادته). مناقبه : عفته ، رحمته ، جوده وإيثاره ومحبته لإخوانه ، تواضعه، التزامه بشرعة الله . مناصبه : عبادة الوالي ، القائد الفاتح ، القاضي العادل ، السفير القدير والفصيح المتكلم .

الفصل الرابع : جهاده في سبيل الله والحق .

ويتضمن الكلام عن كونه داعية الإسلام ، كاتب الوحي ، معلم القرآن وجامعه ، أحد النقباء وحامل وثيقة البيعة ليلة العقبة ، بطل في معركة بدر وسائر المعارك ، علم في بيعة الرضوان (شجري)، صلابته في الحق وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر (مواقفه مع عمر ومعاوية وجَبَلة) ، تبرؤه من حلف بني قينقاع .

الفصل الخامس : قدره العلمي .

ويتناول الكلام عن تفسيره القرآن ، وحمله لواء الحديث عن النبي ﷺ (مسنده في الحديث) ، شـدة تمسكه بالسنة وحب

ملازمته للرسول ﷺ ، شيوخه في الرواية ، أقرانه ، رواة الحديث عنه ، مساهمته في وضع علم الجرح والتعديل ، نماذج من احاديثه وأخباره في أصول الإسلام وجزئياته ، الفقيه المرموق بين الصحابة، تنبؤاته .

وفي الختام :

أرجو الله أن يسدد الخطا ، ويحقق المسعى ، ويوفر النفع ، والحمد لله أولاً وآخراً .

المؤلف

* * *

تَمْهِيد

قبل الشروع في بيـــان سيرة عبادة بن الصامت نحب أن نتحدث في أمرين مهمين هما :

١ ـ ما السبب في تجمع عدة خصائص في رجال الإسلام الأوائل ؟

٢ ـ ما هي العناصر ومقومات التفوق في شخصية عبادة ؟

الأمر الأول :

إن الغالب على إنسان هذا العصر انحصاره في زاوية واحدة معينة من الحياة ، لا يكاد يستطيع مغادرتها إلى زوايا أخرى ، فهو يعيش متميزاً في جانب معين طوال حياته ، ويصبح أسير مهنته في أكثر أيام دهره ، وإن طولب بتغيير عمله ضاق ذرعاً ، وامتلأ هماً ، وكبرت الدنيـــا في عينيه وكأنه حينئذٍ يكابد الموت ، أو يصارع المستحيل عقلاً أو عادة .

أما إنسان الإسلام الأول فيعجب المرء اليوم كيف تهيـــأ له التميز في عدة جوانب من الحياة ، والتحليق في أجواء مختلفة من العلوم ، والإبداع والابتكار في عدة ألوان من الاختصاصات .

ويتساءل كل منا حينئذ عن السبب الذي أبدع به الأوائل في كل ميدان خاضوه ، فلا يجد تفسيراً لهذه الظاهرة الرائعة إلا أنها بنت الإسلام في صفائه الأول ، فهو يمنح ذويه عقيدة لا تتجزأ ، ومتانة في الوازع الديني وقوة الضمير ، واستقامة في الحياة .

كثيراً ما نقرأ في تاريخ رجالات هذا الإسلام العظيم أن فلاناً هو التاجر الثري ، والفقيه المبدع ، والمحدث المتقن ، والقاضي العادل ، والمحارب اللامع ، والسياسي المحنك ، والخطيب المصقع ، والمعلم الناجح ، والمربي القدير ... الخ . ومصدر هذه المعطيات والمواهب العالية أن المسلم الأول كان يعتبر نفسه في جهاد دائم لا يفتر ليل نهار ، ومن متطلبات هذا الجهاد : التفاني في القيام بالواجب ، والإخلاص في العمل ، والإتقان في الوسائل والغايات ، وتخطي كل مراحل الضعف والخور واليأس ، وحب الفائدة والخير ، والتزام أسمى وأنبل أهداف الجندية الصارمة من أجل حياة مزدانة بالعزة والكرامة والسمو ، وتضحية لصالح الجماعة العامة ، وتفانياً في سبيل إحراز رضوان الله عز وجل . وبعبارة مجملة : إن ثبات المسلمين الأوائل على العقيدة هو الذي صنع منهم رجالاً في كل ميدان ، غيّروا به وجه الدنيا ، وبدلوا معالم التاريخ : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »[١]

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الاحزاب .

ولعل من أبرز خصائصهم أن الشعور الأصيل من أجل الجماعة المسلمة كان لا يختلف عن الدوافع الذاتية لتحقيق المصالح الشخصية ، بل قد يفوق الشعور الأول ، ويمتاز ويستبد بصاحبه، حتى يجعله نذر الأمة ، وفداء الجماعة ، وعنوان المجتمع وطليعته.

ولا أنكر أن هناك عوامل أخرى ثانوية بجوار حب المسلم المصلحة العامة ، ساعدته على تحقيق أهدافه ، مثل بساطة الحياة الأولى ، ونظافة البيئة التي يعيش فيها من النواحي الدينية والخلقية والاجتماعية ، والتفرغ الكامل أثناء القيام بعمل من الأعمال ، والاستعداد الفطري السليم .

غير أن هذه العوامل تتصاغر أمام شيئين : زناد العقيدة المتدفق ، وهمة المؤمن العالية ، فهما سبب الحركية الدائبة في نشاط المسلم ، وشعاره في حياته . بل هما أساس قوة روحانيته ومحاولة تغييره لما حوله من واقع أليم ، ووضع متخلف ، وحالة متدنية .

وقد نجم عن هذين العاملين أمر خطير آخر كان له أثر كبير في نشاط حركة المسلمين ، ألا وهو احتقار الدنيا والرغبة في الآخرة . قال عمر بن الخطاب : أما والله لقد دخلت يوماً على رسول الله ﷺ ، وهو نائم على سريره ، مُرْمل [1] بشريط ، وليس بين جلده وبين الشريط شيء ، وقد أثر الشريط في نعومة

---

(1) مرمل : منسوج .

جلد رسول الله ﷺ ، فلما رأيت ذلك بكيت ! فقال لي : يا عمر ، ما الذي أبكاك ؟ فقلت : يا رسول الله ، إن كسرى وقيصر يعيشان في ملك الدنيا ، وأنت رسول الله بهذه المثابة ؟! فقال : يا عمر ، أما ترضى أن يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة[1] .

وتمثل هذا المعنى ـ على صعيد الواقع الذي يمس علاقة المسلمين بغيرهم ـ في قول عبادة بن الصامت للمقوقس في مفاوضته للمجاهدين قبل فتح مصر : « إنما رغبتنا وهمتنا في الله واتباع رضوانه،وليس غزونا لعدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلب للاستكثار منها ، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاؤها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء في الآخرة »[2] .

إذن كان أمل المسلم هو نصرة دين الله والحق ، وباعثه هو الشعور العميق لإبراء نفسه من المسؤولية الخطيرة أمام الله عز وجل ، وتحقيق رسالته في الدنيا ، وخلافته عن الله في الأرض ، وإحساسه بعدئذ بالراحة الكبرى عند إنجاز الأعمال التي ترضي الله سبحانه .

هذا كل ما تراءى في ذهني لتحليل الأسباب في تجمع عدة صفات في رجل الإسلام الأول فهو متعدد في ذات واحدة،ومجموعة

---

(١) فتوح الشام للواقدي : ٢٣/٢ .

(٢) النجوم الزاهرة : ١٣/١ ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي : ١١١/١ .

عبقريات وشخصيات في شخصية واحدة ، كثير في قليل ، وإشعاع ذو ألوان في شيء واحد ، وجماعة أو أمة في رجل منفرد .

وعبادة بن الصامت رضوان الله عليه من أولئك القلّة المؤمنة: صَحْب رسول الله ﷺ الذين غيروا وجه الحياة ، فكان والياً ، وقائداً محارباً ، ونقيباً من سادات الصحابة ، وفقيهاً ، وقاضياً ، ومحدثاً ، وفاضلاً خيراً ، وعابداً ورعاً ، مستغفراً أواباً ، عاملاً في البناء والتجارة ، معلماً للقرآن ، وناشراً مبادىء الإسلام .

الأمر الثاني :

إن عبادة الذي تجمعت له هذه الخصال ، والذي ـ كما سنعرف في فتح مصر ـ كان يعد بألف مقاتل ، تكمن في جسده شخصية جبارة ليست من المستوى العادي للرجال ، حتى الأُلى الذين سبقوا إلى الإسلام ، وكانوا طليعة الجهاد ، وقام الدين الحنيف على عواتقهم ؛ فجدير به أن يكون مثلاً أعلى للقدوة الحسنة ، والسيرة النيرة الرائدة .

والسبب في ذلك أنه من أولئك الفئة المؤمنة التي اصطفاها الله سبحانه لتأييد دعوته في الأرض ، ومؤازرة رسول الله ﷺ ، من تلك اللحظة الحاسمة التي أعلن فيها إسلامه حينما كان شاباً في مقتبل عمر الثلاثين ، في السنة الحادية عشرة من البعثة ، وفي بيعة العقبة الأولى ـ بيعة النساء ـ التي غرست أصول الإيمان العميق الصادق في قلب عبادة الكبير مع أحد عشر أنصارياً آخرين من أهل المدينة .

لقد أضحى عبــادة حينذاك شخصاً آخر ، وقوة جديدة ، وعامــلاً فعالاً من أجــل دين الله ، سواء في حالة السلم أم في حالة الحرب •

لقد صار ابن الإسلام بمعناه الكامل الذي لا يعرف غــير البأس والجدية والحزم والفاعلية والانفعال بالأحداث •

لقد علمه الإسلام وغرس في نفسه معاني التضحية والإيثار ، والشجاعة والإقدام ، ووجهه نحو إتقان سائر الخبرات العسكرية، وتركيز النجاح في القيادة ، واستخدام أصح قواعد الحــرب ، ودراسة نفسيات وإمكانات العدو ــ مما جعله عبقرياً فذاً فيما تسلم من أمور ، سواء في الدعوة إلى الله والإسلام ، أم في ولايــة البلاد ، وقيادة الجيوش ، والقضاء بين المسلمين ، وإعداد النفس علمياً ، ونشر العلم والمعرفة بين الناس •

وهذه الأسباب التي أبرزت عبــادة ، كانت هي الأسباب الجوهرية التي أدت إلى انتصار المسلمين عموماً ، مجملها : الإيمان الصحيح ، والجرأة النادرة ، والقيادة الناجحة ، والخبرةالعسكرية الفائقة ، والتزام المبادىء الإسلامية المثالية ، التي تجلت في تعبير البيعة الثانية على السمع والطاعة في المنشط والمكره • روى عبادة نفسه قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، في العسر

واليسر ، في المَنْشَط والمَكْرَه[1] ،وعلى أثَرَة[2] علينا ، وعلى ألا تنازع الأمر أهله [3] ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم »[4] . وفي رواية : « إلا أن تروا كفراً بَواحاً ، عندكم فيه من الله برهان »[5] .

وهذا الحديث الذي رواه عبادة ، والتزم بنوده ، يعتبر

---

(١) المنشط : الأمر الذي ينشط له ويخف إليه ويؤثر فعله . والمكره : الأمر الذي تكرهه النفس ، وتتشاغل عنه لثقله عليها .

(٢) الأثرة : الاستئثار بالشيء والانفراد به. والمراد في الحديث: أن نفي ببيعتنا ؛ ولو منعنا حقنا من الغنائم والفيء ، وأعطيه غيرنا ، ونصبر على ذلك .

(٣) معناه : لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ، ولا تعترضوا عليهم ، إلا أن تروا منهم منكراً محققاً ، تعلمونه من نصوص الإسلام ، فيباح حينئذ الإنكار عليهم . وأما الخروج عليهم وقتالهم ، فحرام باجماع المسلمين ، وإن كانوا فسقة ظالمين .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي والموطأ واحمد في مسنده. والأمر بالطاعة للأئمة والنهي عن الخروج عليهم حديث متواتر (راجع جامع الأصول : ١٦٥/١ وما بعدها ، مسند أحمد : ٣١٤/٥ ، نظم المتناثر في الحديث المتواتر للعلامة محمد بن جعفر الكتاني: ص١٠٣).

(٥) الكفر البواح : أي الظاهر ، الذي يعلم بالحجة والدليل الواضح المنصوص من دين الله تعالى ، لا بالتأويل والراي والقياس . قال العلماء : وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه : ما يترتب على ذلك من الفتن ، وإراقة الدماء ، وفساد ذات البين .

أصلاً من أصول الإسلام ، وقاعدة كبرى من قواعده الرائعة في نطاق النظريات السياسية الدستورية المنظمة للعلاقة بين الدولة ومواطنيها ، مما يدل على وعي عبادة لما يروي وينقل عن النبي ﷺ في تأسيس بنيان الدولة الإسلامية الداخلي . وتماسك الجبهة الداخلية واستقرارها الذي كان أيضاً من أهم أسباب انتصار المسلمين الأولين .

أضف إلى ذلك أن الإسلام ربى عبادة وأمثاله على التزام أحسن صلة مع الإله القدير مانح النصر والعون ، ومجري المعجزات والأعاجيب على يد أوليائه . فلقد كان عبادة في قمة الورع والتقوى والعبادة ، كغيره من الصحابة الموصوفين جميعاً بالعدالة والخيرية . وكان أيضاً من أمهر الرماة في معارك الحرب الساخنة ، وحضّ الإسلام على تعلم الرماية معروف مشهور . قال النبي ﷺ في قوله تعالى: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»: « ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » . وعن النبي ﷺ قال : « من عَلِمَ الرمي ثم تركه ، فليس منا [1] » . وإعداد

---

(١) رواهما الإمام أحمد ومسلم عن عقبة بن عامر (نيل الأوطار: ٨/٨٥) وهناك أحاديث أخرى كثيرة في الموضوع ، منها ما رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة عن عقبة بن عامر : « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ... منهم : والذي يرمي به في سبيل الله ... » وروى هؤلاء الخمسة أيضاً عن عمرو بن عَبَسَة : « من رمى بسهم في سبيل الله فهو عَدْل محرّر » أي محرر من رق العذاب الواقع على أعداء الدين (نيل الأوطار ، المكان السابق) .

الإسلام المناسب رجاله للحروب كان أيضاً من أهم أسباب إحراز النصر وكسب التفوق ، قال الله تعالى : « يا أيهـا النبي حرِّض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفـروا بأنهم قـوم لا يفقهون »[1] .

« وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم »[2] .

فلا عجب بعدئذٍ أن يكون عبادة بألف ، كما شهد له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

والخلاصة أن سبب تفوق عبادة يرجع لأمريـن : جرأتـه وإقدامه وشجاعته أولاً ، وإيمانه وعقيدته الثابتة ثانياً .

* * *

---

(١) الآية ٦٥ من سورة الأنفال .

(٢) الآية ٧٨ من سورة الحج .



الفصل الأوّل

حياة عُبادة الشخصية

يتناول هذا الفصل عدة أمور نذكرها على التوالي :

١ ـ اسمه ولقبه وكنيته :

اسمه ونسبه : عبادة بن الصامت ، بن قيس بن أصرم بن فِهر ابن قيس بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عَوْف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج الأنصاري السالمي الخزرجي ، من القواقلة[1] .

---

(١) أسد الغابة : ١٠٦/٣ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ٨٠٧/٢ ، تهذيب التهذيب : ١١١/٥ ، تقريب التهذيب : ٣٩٥/١، تهذيب الأسماء : ٢٥٦/١ ، مشاهير علماء الأمصار : ص ١٥٩ ، مجمع الزوائد : ٣٢٠/٩ ، جوامع السيرة : ص٧١ ، حسن المحاضرة: ٢١١/١ ، الطبقات الكبرى : ٥٤٦/٣ ، ٦٢١ ، ٣٨٧/٧ ، الإصابة : ٢٦٨/٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢٦٨/٢ ، المعارف : ص ٢٥٥ .

والقواقل أو القواقلة : بنو غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج،وسمّوا بذلك لأن غنماً كان إذا استجار به مستجير قال له : قوقل [١] حيث شئت [٢] .

كنيته : يكنى أباالوليد الأنصاري [٣] .

٢ ـ ولادته وابواه وابناؤه :

أما والدته : فقد أسلمت وبايعت النبي ﷺ ، واسمها قُرَّة العين بنت عُبادة بن نَضْلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عمرو بن عوف بن الخزرج . فهي خزرجية من بنات أعمام عبادة . وليس في الصحابيات من يسمى بهذا الاسم سواها[٤] .

وأما والده : فلم أعثر على شيء بالنسبة لإسلامه وحياته .

ولادته : ولد عبادة في يثرب (المدينة) سنة ٣٨ ق هـ الموافق

---

(١) قوقل الرجل في الجبل : صعِد .

(٢) تهذيب الأسماء : ٢٥٧/١ ، اسد الغابة : ١٠٦/٣ ، تهذيب ابن عساكر : ٢٠٨/٧ .

(٣) المراجع المذكورة في الصفحة السابقة .

(٤)المراجع المذكورة في الصفحة السابقة ، وتهذيب التهذيب : ١٦١/٥ .

سنة ٥٨٦ م [١] ، وعاش ٧٢ سنة ، فهو إذن مخضـرم عاش في الجاهلية والإسلام .

أولاده : بنوه : الوليد وعبد الله وداود وآخرون . ولد ابنه الوليد بن عبادة في آخر عهد النبي ﷺ ، وتوفي في خلافة عبد الملك ابن مروان بالشام ،وكان ثقة ، قليل الحديث[٢] وله عَقِب[٣] ، وأمه جميلة بنت صَعْصَعة . ومن أولاده : محمد وأمـه : أم حَرام بنت ملحان بن خالد .

وحفيداه : يحيى وعبادة ابنا الوليد [٤] .

٣ ـ صفته وهيئته :

كان عبادة عربياً قـحاً أسمر اللون جميلاً طويلاً جسيماً ضخماً . قال الوليد بن عبادة : كان أبي رجلاً طُوَالاً جسيماً جميلاً . وقال عنه النووي في تهذيب الأسماء : كان فاضلاً خيِّراً

---

(١) الأعلام للزركلي : ٣٠/٤ ، ط ثانية .

(٢) الإصابة : ٢٨/٢ ، تهذيب التهذيب : ١١١/٥ ، المعارف : ص ٢٥٥ ، طبقات ابن سعد : ٥٤٦/٣ .

(٣) العقب : بكسر القاف وسكونها وهي مؤنثة،وعقب الرجل: ولده وولد ولده .

(٤) تهذيب التهذيب : المكان السابق .

جميلاً طويلاً جسيماً . وقال سعيد بن عفير : كان طوله عشرة أشبار[1] أي أنه كان يزيد عن ٢٠٠ سم ، فهو مديد القامة طويلها.

وهذا يشعر بأنه كان رجلاً مهيباً ، قد ساعدته القوة الجسدية والضخامة على تحمل أعباء القيادة وأعمال الحرب ، وهذا يشبه حالة القائد الاسرائيلي « طالوت » الذي بعثه الله ملكاً على بني إسرائيل ، وزاده بسطة في العلم حتى يكون واسع الإدراك نافذ البصيرة ، وبسطة في الجسم حتى يقوى على القيادة وأعمال الحرب ، وحتى يكون مهاباً يملأ العين والنظر ، قال الله تعالى حاكياً لنا قصته : « وقال لهم نبيهم : إن الله قد بعث لكم طالوت مَلِكاً ، قالوا : أنَّى يكون له المُلْك علينا ، ونحن أحق بالمُلْك منه ، ولم يؤتَ سَعَة من المال ؟! قال : إن الله اصطفاه عليكم ، وزاده بَسْطة في العلم والجسم ، والله يؤتي ملكه من يشاء ، والله واسع عليم »[2] .

ويظهر من القرائن أن عبادة كان يهتم بأناقة لباسه ، وحسن منظره ، بدليل وصفه بالجمال ، واهتمامه بوصف لباس النبي ﷺ ،

---

(١) الإصابة : ٢/٢٦٩ ، أسد الغابة : ٣/١٠٧ ، تهذيب ابن عساكر : ٧/٢١٤ ، تقريب التهذيب : ١/٣٩٥ ، تهذيب الأسماء واللغات : ١/٢٥٧ ، الطبقات الكبرى : ٣/٥٤٦ ، ٧/٣٨٧ ، المعارف : ص ٢٥٥ .

(٢) الآية ٢٤٧ من سورة البقرة .

فيما روى ابن ماجه عنه : « خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ، وعليه جُبَّة رومية »[1] .

٤ ـ زوجته ام حرام :

تزوج عبادة بامرأة صالحة هي أم حَرام بنت مِلْحان ، أخت أم سليم ، وممَّن بايع رسول الله ﷺ ، وهي خالة خادمه أنس ابن مالك ، وصحابية من الأنصار من أهل قُبَاء ، كان النبي ﷺ إذا ذهب إلى قباء استراح عندها . ترجم لها الأصبهاني بقوله[2] : أم حرام بنت ملحان ، حميدة البر ، شهيدة البحر ، التواقة إلى مشاهدة الجنان ، خالة النبي ﷺ من الرضاعة .

ولأم حرام سبعة أحاديث عن النبي ﷺ [3] ، من أهمها تلك القصة التي تعتبر من أعلام النبوة ومعجزات الرسالة بإخبار النبي ﷺ لها عن غزو البحر[4] ، وصنع الأسطول البحري ،

---

(١) ذخائر المواريث للنابلسي : ١/٢٨٠ .

(٢) حلية الأولياء : ٢/٦١ .

(٣) جوامع السيرة : ص ٢٨٧ .

(٤) ومن احاديثها ما رواه أبو داود عنها أن رسول الله ﷺ قال : « المائد في البحر ، الذي يصيبه القيء له أجر شهيد ، والغرِق له أجر شهيد » (جامع الأصول : ٣/٣٣٧) .

بعد أن صحا في بيتها من قيلولته ضاحكاً [1] ، وتناقلها المحدثون في الكتب الصحاح . روى البخاري في كتاب الجهاد ، ومسلم في كتاب الإمارة وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه[2] قال : دخل رسول الله ﷺ على ابنة مِلْحان ، فاتكأ عندها ، ثم ضحك ، فقالت : لم تضحكُ يا رسول الله ؟ فقال : ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر[3] في سبيل الله ، مَثَلُهم مَثَل الملوك على الأسِرَّة ، فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم . قال : اللهم اجعلها منهم . ثم عاد فضحك ، فقالت له : مثلَ أومِمَّ ذلك ؟ فقال لها : مثلَ ذلك . فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم . قال : أنتِ من الأولين ، ولستِ من الآخرين . قال أنس : فتزوجت عبادةَ بن الصامت ، فركبت البحر مع بنت قَرَظة ، فلما قفلتْ ، ركبتْ دابتها ، فوَقصتْ[4] بها ، فسقطت عنها ، فماتت .

---

(١) اتفق العلماء على أنها كانت مَحرماً له ﷺ ، واختلفوا في كيفية ذلك ، فقال ابن عبد البر وغيره : كانت إحدى خالاته من الرضاعة ، وقال آخرون : بل كانت خالة لأبيه أو لجده ، لأن عبد المطلب ، كانت أمه من بني النجار (شرح مسلم : ٥٧/١٣) .

(٢) راجع صحيح البخاري : ٩٧/٤ ، شرح صحيح مسلم للنووي ٥٧/١٣ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢٢٢/٦ ، ١٥٣/٧ ، منتخب كنز العمال على هامش مسند أحمد : ٢٧٥/٢ ، مجمع الزوائد : ٢٦٣/٩ ، حياة الصحابة : ٨٢/٢ ، موطأ مالك : ٢٠/٢ .

(٣) هو البحر الأبيض المتوسط .

(٤) وقصت به الدابة : رمت به فكسرت عنقه .

هذه رواية البخاري ، ورواية مسلم هي : « ناس من أمتي عرضوا علي غُزاةً في سبيل الله يركبون ثَبَجَ[1] هـذا البحر ، ملوكاً على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة » .

لقد تحققت أمنية أم حرام بالاستشهاد أثناء غزو البحر ، إذ صرعت عن دابتها حين خرجت من البحر ، وقَصَتها بغلة لها شهباء ، فماتت . وتم ذلك بقيادة معاوية بن أبي سفيان لجيشه عقب إنشائه الأسطول الإسلامي الأول في التاريخ ، حين غزا قبرص ففتحها سنة ٢٧ أثناء خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه . ودفنت في قبرص ، ولها قبر يزار . قال هشام بن الغاز : قبر أم حرام بنت ملحان بقبرص ، وهم يقولون : هذا قبر المرأة الصالحة . وهم يعظمونه ويستسقون بـه[2] . وقال هشام أيضاً : رأيت قبرها ووقفت عليه بالساحل بقاقيس[3] .

---

(١) ثبج البحر : ظهره ووسطه . وفي رواية أخرى « يركبون ظهر البحر » .

(٢) لا شك بأنه ليس تعظيم عبادة وشرك ، وإنما حب واحترام وأما الاستسقاء بالصالحين أو التوسل فهو كالاستسقاء بالعباس عم النبي ﷺ الثابت في الآثار ، والمرجع في الحقيقة هو الله ، والذي دل عليه القرآن الكريم هو دعاء الله مباشرة دون توسل .

(٣) صفة الصفوة : ٣٨/٢ ، حلية الأولياء : ٦٢/٢ ، شرح مسلم للنووي : ٥٩/١٣ ، البداية والنهاية لابن كثير : ١٥٣/٧ ، العواصم من القواصم : حاشية ص ٢٠٧ .

وكان عبادة مع زوجته راكباً البحر ، مشتركاً معها في فتح قبرص ، فانطبق على كل واحد منهما بشارة النبي ﷺ بأنه « ملك على السرير » .

٥ ـ أخوه أوس :

لقد ساهمت أسرة عبادة كلها في نصرة الإسلام ، سواء بالنسبة لزوجته كما بينا ، أو بالنسبة لإخوته ،أو أولاده . فهذا أوس بن الصامت ، الأنصاري الخزرجي ، شهد موقعة بدر الكبرى، وروى حديثين فقط عن النبي ﷺ . مات أيام عثمان ، وله خمس وثمانون سنة [١] ، وكان به شيء من جنون ، فأصابه بعض حالاته ، فظاهر من زوجته ؛ لأنها امتنعت منه مرة ، فقال لها : « أنت علي كظهر أمي » وزوجته هي خولة بنت خويلد الخزرجية أو بنت ثعلبة[٢] ، وهي التي جادلت النبي ﷺ واشتكت له بحرارة من أثر الظهار لكبر سنها ، وانقطاع ولدها ، وخوفها على أولادها من الضياع أو الجوع ، فأنزل الله في شأنها كفارة الظهار في أوائل سورة المجادلة : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ، وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما ، إن الله سميع بصير » .

---

(١) تقريب التهذيب : ٨٥/١ ، جوامع السيرة لابن حزم : ص ١٣٣ ، ٢٩٤ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢٢٠/٧ ، المعارف : ص ٢٥٥ .

(٢) المشهور أنها خولة بنت ثعلبة ، ولا غرابة إذ قد تنسب المرأة إلى أبيها أو جدها .

٦ ـ مؤاخاته لأبي مرثد :

آخى النبي ﷺ بين عبادة وبين أبي مرثد الغَنَوي[1] ، في رواية محمد بن اسحاق ومحمد بن عمر[2] فأصبحا كأخوي النسب في المال والميراث والمناصرة على الحق والمؤاساة ،ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام ، كما آخى بين باقي أصحابه من المهاجرين والأنصار قبل بدر ، فآخى مثلاً بين جعفر بن أبي طالب وهو غائب بالحبشة ، ومعاذ بن جبل • وآخى بين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد • وآخى بين عمر بن الخطاب وعِتْبان ابن مالك من بني سالم • وآخى بين أبي عبيدة بن الجراح وسعد ابن معاذ أخي بني عبد الأشهل • وآخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع أخي بني الحارث بن الخزرج ، وقصتهما عند البخاري معروفة في عرض سعد تنازله لابن عوف عن إحدى زوجتيه وشطر ماله • وآخى بين الزبير بن العوام وبين سلمة بن

---

(١) ينسب إلى غنى من عقب قيس عيلان ، واسمه كنَّاز بن الحصين ، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس ، وحليفاً لحمزة بن عبد المطلب مات بالمدينة في خلافة أبي بكر سنة ١٢ هـ ، وهو ابن ٦٦ سنة (طبقات ابن سعد : ٥٤٧/٣) .

(٢) الإصابة : ٢٦٨/٢ ،أسد الغابة : ١٠٦/٣ ،تهذيب التهذيب: ١١٢/٤ ، تهذيب الأسماء : ٢٥٧/١ ،تهذيب ابن عساكر : ٢٠٨/٧ .

سلامة بن وَقْش ... الخ[1] . وكانوا تسعين رجلاً : ٤٥ من المهاجرين و ٤٥ من الأنصار ، ويقال : كانوا مائة : خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصـــار ، وتمت المؤاخاة بينهم في دار أنس بن مالك رضي الله عنه .

ولقد كان لهذه المؤاخاة أثرها الكبير في تاريخ الإسلام بالنسبة لضعف المهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم بمكة ، وهاجروا ابتغاء مرضاة الله ، فأكسبتهم المؤاخاة مع الأنصار في المدينة قوة وعزيمة ، وبعد موقعة بدر حينما تقوى المهاجرون أنزل الله تعالى : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله »[2] ، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ، وانقطعت المؤاخاة في الميراث ، ورجـــع كل إنسان إلى نسبه ، وورثه ذوو رحمه ، وأولو الأرحام : أصحاب القرابة ، فصارت أولوية القرابة النسبية مفضلةعلى ما هو أهـــم منها من ولاية الإيمان وولاية الهجرة في عهدها ، وأصبح الأقارب أجدر وأحق بالتناصر والتعاون من المهاجرين والأنصار الأجانب ، وكذا التوارث في دار الهجرة في عهد وجوب الهجرة وفي كل عهد ،

---

(١) جوامع السيرة : ص ٩٦ ، صحيح البخاري : ٥/ ١٠٩ ، مختصر صحيح مسلم : ٢٢٣/٢ ، شرح مسلم : ٨١/١٦ ، طبقات ابن سعد : ٢٣٨/١ وما بعدها،البداية والنهاية : ٢٢٦/٣ ومابعدها.

(٢) الآية ٧٥ من سورة الأنفال .

أصبح منسوخاً برابطة القرابة ، واعتبر الأقارب أولى بذلك . قال الحسن البصري : كان التوارث بالحلف ، فنسخ بآية المواريث[1]، وهو المقصود بقوله عليه السلام فيما يرويه مسلم عن جبير بن مطعم : « لا حلف في الإسلام » أي حلف التوارث ، وأما المؤاخاة في الإسلام والمحالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق ، فهذا باق لم ينسخ .

٧ ـ وفاته :

أشهر الروايات وأصحها وأكثرها تؤكد أن عبادة توفي بفلسطين سنة ٣٤ هـ ، (أربع وثلاثين هجرية) الموافق ٦٥٤ م في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وله ٧٢ (اثنتان وسبعون سنة) ، ودفن بالرملة . وهذا ما ذكره المدائني وأرخه خليفة بن خياط وابن سعد وابن حجر في الاصابة وابن عبد البر وابن قتيبة وآخرون ، وهذا هو الظاهر .

ومنهم من قال : دفن ببيت المقدس ، قال ابن مَنْدَه : توفي ببيت المقدس . وقال رجاء بن أبي سلمة : قبر عبادة بن الصامت ببيت المقدس . قال ابن عساكر في تاريخه : ولعل الصحيح أنه توفي ببيت المقدس ، والله أعلم .

---

(١) شرح مسلم للنووي : ٨١/١٦ وما بعدها ، تفسير آيات الأحكام للأستاذ الشيخ محمد علي السايس ، ط ١٩٥٣ : ص ١٣ .

وجاء في الجمع بين رجال الصحيحين : « المشهور أنه مات بقبرص ، بالشام ، وقبره بها يزار ، وكان والياً عليها من قبل عمر » قال في التهذيب : مات بالشام في خلافة معاوية • وقال ابن سعد : وسمعت من يقول : إنه بقي حتى توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالشام • وقال الحاكم : مات بالشام ، وفي أهلها عداده• وأورد ابن عساكر في ترجمته أخباراً له مع معاوية ، تدل على أنه عاش بعد ولاية معاوية الخلافة ، وبذلك جزم الهيثم بن عدي • وقيل : إنه عاش إلى سنة ٤٥ (خمس وأربعين هجرية) •

وقيل : إنه توفي بالمدينة ، وهو أضعف الروايات[1] •

٨ ـ وصيته حين الموت :

عبادة غني النفس بالإيمان والتقوى واليقين بالقضاء والقدر، حسن الظن بالله تعالى وبوعده وفضله ، كثير الخشية والخوف من حساب الله عز وجل ، ملتزم أحكام الإسلام صغيرها وكبيرها ، وتتجلى هذه الخصال من سرد الحوادث التالية :

---

(١) راجع الاستيعاب : ٨٠٨/٢ ، الإصابة : ٢٦٩/٢ ، طبقات ابن سعد : ٥٤٦/٣ ، ٣٨٧/٧ ، تهذيب ابن عساكر : ٢٠٨/٧ ، ٢١٤ ، تهذيب الأسماء : ٢٥٧/١ ، أسد الغابة : ١٠٧/٣ ، حسن المحاضرة : ٢١١/١ ، مرآة الجنان : ٨٩/١، مشاهير علماءالأمصار : ص ١٥٩ ، مجمع الزوائد : ٣٢٠/٩ ، شذرات الذهب : ٤٠/١ ، تهذيب التهذيب : ١١٢/٥ ، تقريب التهذيب : ٣٩٥/١ ، الأعلام للزركلي : ٣٠/٤ ، المعارف : ص ٢٥٥ .

أ ـ وصيته الخالدة لذويه :

أخرج البيهقي وابن عساكر[1] عن عبادة بن محمد بن عبادة ابن الصامت قال : لما حضرت عبادة رضي الله عنه الوفاة قال : أخرجوا إلي مواليَّ وخدمي وجيراني ومن كان يدخل عليَّ ، فجمعوا له فقال : إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليَّ من الدنيا ، وأول ليلة من الآخرة ، وإني لاأدري لعله قد فَرَطَ[2] مني إليكم بيدي أوبلساني شيء ، وهو والذي نفسي بيده القصاص يوم القيامة ، وأحرِّج على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك ، إلا اقتص مني قبل أن تخرج نفسي . فقالوا : بل كنت والداً وكنت مؤدباً ـ ولم يكن عبادة قال لخادم سوءاً قط ـ فقال : أغفرتم لي ما كان من ذلك ؟ قالوا : نعم : قال : اللهم اشهد . ثم قال : أما لا فاحفظوا وصيتي :

« ـ أحرِّج على إنسان منكم يبكي علي .

ـ فإذا خرجت نفسي فتوضأوا وأحسنوا الوضوء ، ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجداً ، فيصلي ، ثم يستغفر لعبادة ولنفسه ، فإن الله تعالى قال : « استعينوا بالصبر والصلاة »[3] .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢١٤/٧ ، حياة الصحابة : ٤٦٥/٣ وما بعدها .

(٢) فرط : سبق وتقدم .

(٣) الآية ٤٥ و ١٥٣ من سورة البقرة .

ـ أسرعوا بي إلى حفرتي ، ولا تُتْبِعُنِّي نـاراً ، ولا تضعوا تحتي أرجواناً »[1] .

إن روعة هذه الوصية تتمثل في إدراك عبادة خطورة الموقف الذي سيواجهه ، وجسامة المسؤولية عن حقوق الناس في ميـدان الحساب أمام الله تعالى ، فطلب القصاص ممن قد يكون جنى عليه في الدنيا قبل الآخرة . وهذا يشبه موقف النبي ﷺ حينما قال قبيل انتقاله إلى الرفيق الأعلى : « ألا من كنت جلدت لـه ظهراً ، فهذا ظهري فليستقد [2] ، ومن كنت شتمت لـه عرضاً ، فهذا عرضي فليستقد منه »[3] .

ب ـ وصيته لابنه بالإيمان بالقدر خيره وشره :

أخرج الإمام أحمد عن الوليد بن عبادة عن أبيه قال : دخلت على عبادة وهو مريض ، أتخايل[4] فيه الموت ، فقلت : يا أبتـاه أوصني واجتهد لي ، فقال : أجلسوني ، فلما أجلسوه ، قـال :

يا بني إنك لن تَطعم طعم الإيمان ، ولم تبلغ حق حقيقـة العلم بالله تبارك وتعالى ، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره .

---

(١) الأرجوان : شجر لـه ورد ، أو الصبـغ الأحمر ، أو الثياب الحمر .

(٢) أي فليقتص .

(٣) من رواية الفضل بن عباس (الكامل لابن الأثير: ٢/١٥٤).

(٤) أي اظن واتوهم .

قلت : يا أبتاه ، فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشـره ؟ قال : تعلـم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبـك ، وما أصابك لـم يكن ليخطئك .

يا بني : إني سمعت رسـول الله ﷺ يقـول : « إن أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ، ثم قال : اكتب . فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » .

يا بنيَّ ، إن متَّ ولست على ذلك ، دخلت النار[1] .

جـ ـ آخر حديث يرويه حين الموت :

أخرج الإمام أحمـد عن الصنابحي أنـه قال : دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت ، فبكيت ، فقال : مهلاً ، ولم تبكي ؟ فوالله لئن استُشهدت لأشهدن لك ، ولئن شُفِّعت لأشفعن لك ، ولئن استطعت لأنفعنك . ثم قال : والله ، ما حديث سمعته من رسول الله ﷺ ، لكم فيه خـير إلا حدثتكموه ، إلا حـديثاً واحداً ، سوف أحدثكموه اليوم ، وقد أحيط بنفسي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من شهدَ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، حرم

---

(١) مسند احمد : ٣١٧/٥ . واخرجه الترمذي عن الوليد بن عبادة عن ابيه وقال : حسن صحيح غريب . واخرجه ابو داود في سننه (جامع الترمذي : ٣٢٥/٦ وما بعدها ، ٥٨/٩ وما بعدها ، حياة الصحابة : ٤٤٦/٣) .

على النار »[1] ؛ أي الخلود فيها ، وهذا طريق أصل الإيمان ، أما بقية أحكام الإسلام من صلاة وصيام ونحوها فلا بد منها أيضاً ، ولها مسؤولية خاصة بها .

د ـ حديث آخر في الوقاية من الأمراض :

روى أحمد أيضاً عن عبادة بن الصامت قال : دخلت على رسول الله ﷺ أعوده وبه من الوجع ما يعلم الله تبارك وتعالى بشدته ، ثم دخلت عليه من العشي ، وقد برىء أحسن برء ، فقلت له : دخلت عليك غدوة[2] وبك من الوجع ما يعلم الله بشدته ، ودخلت عليك العشية وقد برأت ! فقال : يا ابن الصامت ، إن جبريل عليه السلام رقاني برقية برئت ، ألا أعلمكها ؟ قلت : بلى . قال :

« بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من حسد كل حاسد وعين ، بسم الله يشفيك »[3] .

---

(١) مسند أحمد : ٣١٨/٥ وفيه عن قتيبة مثله قال : « حرم الله تبارك وتعالى عليه النار » ورواه أيضاً عن عبادة مسلم والترمذي، وأخرجه البخاري عن صدقة بن الفضل (الفتح الكبير : ٢٠٣/٣ ، ذخائر المواريث : ص ٢٧٩) .

(٢) الغدوة : ما بين صلاة الغداة (اي الفجر) وطلوع الشمس.

(٣) مسند أحمد : ٣٢٣/٥ ، وفي لفظ آخر : « بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من حسد حاسد ، وكل عين ، واسم الله يشفيك » . وقد ذكرت هذا الحديث بمناسبة الموت وأمراضه .

هـ ـ صبره على البلاء حينما كان يمرض :

أسند الحافظ ابن حجر إلى أبي الأشعث الصنعاني أنه راح إلى مسجد دمشق ، فلقي شداد بن أوس الأنصاري (صحابي) والصنابحي (تابعي) فقالا له : اذهب بنا إلى أخ نعوده . فدخلا على عبادة بن الصامت فقالا : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت بنعمة من الله وفضل ، فقال له شداد : أبشر بكفارات السيئات وحط الخطايا ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً ، فحمدني وصبر على ما ابتليته ، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا . ويقول الرب عز وجل للحَفَظَة : إني أنا قيدت عبدي هذا وابتليته ، فأجروا له ما كنتم تجرون له قبل ذلك من الأجر . قال ابن عساكر : وهو صحيح[1] .

و ـ اهتمامه بحساب يوم القيامة :

أخرج الإمام أحمد عن فضالة بن عبادة وعبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة ، وفرغ الله تعالى من قضاء الخلق ، فيبقى رجلان ، فيؤمر بهما إلى النار ، فيلتفت أحدهما ، فيقول الجبار تعالى : ردوه ، فيردونه ، قال له : لم

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢٠٧/٧ ، الإصابة : ٢٦٨/٢ وما بعدها .

التفت» ؟ قال : إن كنت أرجو أن تدخلني الجنة . قال : فيؤمر به إلى الجنة . فيقول : لقد أعطاني الله عز وجل ، حتى لو أني أطعمت أهل الجنة ، ما نقص ذلك ما عندي شيئاً ، قال : فكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يُرى السرور في وجهه »[1] .

وللحديث أهمية في بيان فضل الله على عباده ، وتأثيره في عقيدة عبادة الذي يثق بفضل الله ، ويحسن الظن بالله تعالى .

هذه الخصائص الذاتية لعبادة ، والتي من أهمها مهابته كعملاق ضخم ، وسلامة عقيدة وقربه من النبي ﷺ ، إذ هو زوج خالته : أكسبته شهرة عالية ، وبوأته أن يكون في مركز حساس متميز بين الصحب الأباة الذين رسخوا بنية الإسلام ، وثبتوا قواعده وأحكامه في بداية غرسه وسط الأعداء الأشداء العتاة ، فما أشقها مهمة ، وما أصعبها قضية ، وما أحوجها إلى الإيمان الراسخ والصبر والكفاح ، والعقل والتوجيه والتخطيط!!

* * *

(١) مسند أحمد : ٥/٣٣٠ .

الفصل الثاني

عصر عبادة

أولاً ـ نشأته في بيئة النبوة وبين الصحب الأبرار :

عاش عبادة في أفضل عصور الإسلام على الإطلاق ، فهو قد عاصر أحداث النبوة برمتها ؛ إذ كان من السابقين إلى الإسلام ، فشهد نزول الوحي على النبي عليه الصلاة والسلام ، وعرف أسرار التأويل وأدرك مرامي الشريعة ، وحضر المشاهد كلها مع الرسول ، وحاز قصب السبق من كل نوع من أنواع الخير ، فجمع بين فضيلة الصحبة[1] عموماً ، وميزة مشاهير الصحابة خاصة ، واصطبغ بصبغة الإسلام النقية ، وذاق حلاوته الشذية .

---

(١)حقيقة الصحابي فيها مذهبان : اصحهما وهو مذهب البخاري وسائر المحدثين وجماعة من الفقهاء وغيرهم : انه كل مسلم راى النبي ﷺ ولو ساعة ، وإن لم يجالسه ويخالطه . والثاني ـ وهو مذهب اكثر اهل الاصول ـ : انه يشترط مجالسته . وهو ←

وللصحبة منزلة كبرى ، وميزة خاصة ، وهي أن كل الصحابة عدول ، فعبادة وغيره من الأصحاب أشرقت قلوبهم أولاً بنور النبوة ، وتربوا في مدرسة النبي ، والأنبياء عامة مُثُل عليا للناس ، يعلمون البشر بأقوالهم وأفعالهم كيف يسعدون ، وكيف يغالبون قوى الشر التي تلوث الأرض . وكان الصحابة فعلاً خير أمثولة لتعاليم النبي عليه الصلاة والسلام .

ثم عاش عبادة بعد النبي في أزهى وأرفع فترة زمنية إلى أن توفي قبيل استشهاد عثمان رضي الله عنه ـ سنة ٣٥ هـ ـ بعام واحد ، بعد أن شارك في أعمال الإسلام الكبرى كما سنبين .

وقد ثبتت عدالة الصحابة جميعاً بأدلة كثيرة في القرآن والسنة النبوية ، منها قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله»[1] ، ومنها قوله سبحانه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً »[2] وسطاً : عدولاً .

مقتضى العرف ، وذاك مقتضى اللغة . وهكذا قال الإمام أبو بكر بن الباقلاني رحمه الله وغيره (تهذيب الأسماء للنووي : ١/١٤ ،الباعث الحثيث : ص ١٧٩) . وعلى اي حال فإن عبادة ينطبق عليه وصف الصحبة في كلا المذهبين .

(١) الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

وأما من السنة فأحاديث صحاح كثيرة ، منها : قوله ﷺ : « إن خيركم قرني[1] ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »[2] . ومنها : « لا تسبوا أحداً من أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحُد ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نَصِيفه »[3] . ومنها أيضاً : « ليبلغ الحاضر الغائب ، اللهَ اللهَ في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه ، ومن يأخذه الله فيوشك أن لا يُفْلِتَه »[4] . قال النووي : والأحاديث في فضل الصحابة

---

(١) القرن: أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة . ويطلق القرن على مدة من الزمان مقدارها مائة سنة .

(٢) متفق عليه بين البخاري ومسلم ، والترمذي والنسائي عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، وهو حديث متواتر مروي عن ثلاثة عشر صحابياً (سبل السلام : ١٢٦/٤ ، نظم المتناثر للكتاني : ص ١٢٧ ، جامع الأصول ٤٠٤/٩ ، صحيح البخاري : ٦٢/٥ ، شرح مسلم : ٨٤/١٦) .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (جامع الأصول : ٤٠٧/٩) .

(٤) رواه الترمذي عن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه (جامع الأصول : ٤٠٨/٩) .

رضوان الله عليهم على الاطلاق كثيرة مشهورة في الصحيحين وغيرهما [1] .

وقد استقر ـ بناء على هذا الاعتقاد السائد ـ في حَدْس الأمة وإيمانها وإجماع علمائها : أن الصحابة جميعاً عدول بتعديل الله ورسوله لهم ؛ إلا أفراداً معدودين على أصابع اليد اختلف في تعديلهم بسبب عدم استقامتهم بعد وفاة النبي ﷺ . وقد دافع عنهم ابن العربي في كتابه الرائع « العواصم من القواصم » وأثبت براءتهم . قال الخطيب البغدادي : والأخبار في هذا المعنى ـ أي إثبات عدالة الصحابة ـ تتسع ، وكلها مطابقة لما في نص القرآن ، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة ، والقطعَ على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم ـ مع تعديل الله تعالى لهم ، المطلع على بواطنهم ـ إلى تعديل أحد من الخلق له . على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه ، لأوجبت الحال التي كانوا عليها ـ من الهجرة والجهاد والنصرة ، وبذل المُهَج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة في الدين ، وقوة اليقين ـ القطعَ على

---

(1) تهذيب الأسماء : ١٥/١ وانظر جامع الأصول : ٤٠٤/٩ـ ٤٢٧ ،السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب : ص٣٩٨ـ ٤٠٥ ، العواصم لابن العربي : ص ٣٢ وما بعدها ، علوم الحديث لابن الصلاح : ص ٢٦٤ وما بعدها ، الباعث الحثيث : ص ١٨١ .

عدالتهم ، والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعَدَّلين والمزكَّيْن الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين[1] .

هذه الأوصاف كلها تشمل عبادة بن الصامت ، فهو رجل عدل ، ومن سادات الصحابة وكبار عدولهم وفقيه الصحابة ، وقد قال الرسول ﷺ في فقهاء الصحابة : « تجدون الناس معادن ، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقَهُوا ... »[2] .

والحقيقة أن ارتفاع مجد الصحابة هو بمدى الارتباط مع نبي الله تعالى ، فهم حواريوه ، وأنصاره وممثلوه ، وملتزمو شرعه وسنته ، حتى إنهم وصفوا بقوله عليه السلام : « النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماءَ ما توعَد ، وأنا أمَنَة لأصحابي ، فإذا ذهبت أنا ، أتى أصحابي ما يُوعَدون ، وأصحابي أمَنَة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون »[3] .

وقد بشر النبي ﷺ أصحابه بالمغفرة مكافأة لهم على مناصرتهم له ، أخرج أحمد عن يعلى بن شداد قال : حدثني أبي شداد رضي الله عنه ــ وعبادة بن الصامت رضي الله عنه حاضر يصدِّقه ــ قال:

---

(١) العواصم من القواصم : ص ٣٤ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه . (مختصر مسلم : ٢٢٥/٢ ، شرح مسلم : ٧٨/١٦) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه عن أبي بردة عن أبيه (شرح مسلم للنووي : ٨٢/١٦) .

« كنا عند النبي ﷺ فقال : هل فيكم غريب ــ يعني أهل الكتاب ــ ؟ قلنا : لا ، يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا ساعة ، ثم وضع ﷺ يده ، ثم قال : الحمد لله ، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ، ووعدتني عليها الجنة ، وإنك لا تخلف الميعاد . ثم قال : ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم »[1] . فهذا دليل واضح على أن الصحابة مغفور لهم ، فاللهم اجعلنا معهم .

ثانياً ــ سبقه إلى الإسلام :

عبادة بن الصامت أحد السباقين إلى الإسلام ، ومن أوائل الأنصار الذين أعلنوا إسلامهم في السنة العاشرة من البعثة النبوية، وهم الذين شهد الله سبحانه وتعالى لهم بكمال الإحسان ، إذ من المعروف أن أمة النبي ﷺ وسط عدول خيار شهداء على الناس يوم القيامة ، كما بينا قريباً . وهي خير أمة أخرجت للناس ؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله حقاً ، وكان خيارها الصحابة رضي الله عنهم ، وأعلاهم في الشرف : السابقون الأولون

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٩/١ : رواه أحمد والطبراني والبزار ، ورجاله موثقون . وراجع حياة الصحابة : ٤٠٨/٣ .

من المهاجرين والأنصار[1] ، قال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ،خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم »[2] .

أما السابقون من المهاجرين فهم الذين صلوا إلى القبلتين : (إلى الكعبة وإلى بيت المقدس) ، وقيل : هم المهاجرون قبل صلح الحديبية . وإذا كان السبق في الإيمان والهجرة والجهاد والبذل والنصرة ، كان أفضل السابقين : الخلفاء الأربعة على ترتيب خلافتهم ، ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة[3] .

وأما السابقون من الأنصار، فهم الذين أسلموا قبل أن يكون للمسلمين قوة مرهوبة الجانب ، وقيل : هم أصحاب البيعة الأولى وكانوا اثني عشر رجلاً ، وأصحاب البيعة الثانية وكانوا ثلاثاً وسبعين رجلاً وامرأتين . وعبادة بن الصامت كان من أوائل هؤلاء السابقين إلى إعلان الإسلام ومن أعلام بيعة العقبة الأولى .

---

(١) التفسير الواضح ، حجازي : ٧/١١ .

(٢) الآية ١٠٠ من سورة التوبة .

(٣) العشرة المبشرون بالجنة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ابن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وابو عبيدة بن الحراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، رضي الله عنهم (تهذيب الأسماء ١/١٥) .

قصة إسلامه :

أقام رسول الله ﷺ ، بمكة ثلاث سنين من أول نبوته يدعو إلى الله سراً مستخفياً ، ثم أمر في السنة الرابعة من بعثته بالجهر بدعوته ، بقوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »[1] ، وقوله سبحانه : « وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »[2] ، « وقل إني أنا النذير المبين »[3] .

ففي السنة الرابعة أعلن دعوته ، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين ، يوافي المواسم كل عام ، يتّبع الحاج في منازلهم في المواسم بعُكاظ و َمجَنّة وذي مجاز ، يدعوهم إلى أن يمنعوه ، حتى يُبلّغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه ، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول:

« يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، وتَمْلِكوا بها العرب ، وتذِل لكم العجم ، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة » .

---

(١) الآية ٩٤ من سورة الحجز .

(٢) الآيتان ٢١٤ و ٢١٥ من سورة الشعراء .

(٣) الآية ٨٩ من سورة الحجر .

وأبو لهب وراءه يقول : « لاتطيعوه،فإنه صابئ كاذب»[1]، فيردون على رسول الله ﷺ ، أقبح الرد ، ويؤذونه ، ويقولون : أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ، ويكلمونه ويجادلونه ، ويكلمهم ويدعوهم إلى الله ، ويقول : « اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا » .

فكان من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ ، ودعاهم وعرض نفسه عليهم : بنو عامرِ بن صَعْصَعة ، وفَزَارة ، وغسان ، ومُرَّة ، وحنيفة ، وسلَيم ، وعبس .. الخ .

دعوته ﷺ رهطاً من الخزرج :

ولما أراد الله إظهار دينه ، ونصر نبيه وإنجاز ما وعده ، ساقه إلى هذا الحي من الأنصار ، لما أراد الله به من الكرامة ، فانتهى إلى نفر منهم وهم يحلقون رؤوسهم ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله ، وقرأ عليهم القرآن ، فاستجابوا لله ولرسوله ، فأسرعوا وآمنوا وصدقوا وآووا ونصروا وواسَوا . وكانوا والله أطول

---

(١) تارة يكون هذا ، وتارة يكون أبو جهل يقول : « يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى » . (البداية والنهاية : ٣/١٣٩) .

الناس ألسنة ، وأحدهم سيوفاً [1] . وكانوا ستة نفر كلهم من الخزرج ، وهذا هو الأصح في التاريخ .

وذكر موسى بن عقبة ـ فيما رواه عن الزهري وعروة ابن الزبير ـ : أن أول اجتماعه عليه السلام بهم ، كانوا ثمانية وهم : معاذ بن عفراء ، وأسعد بن زُرارة ، ورافع بن مالك ، وذَكْوان وهو ابن عبد قيس ، وعبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وعويم بن ساعدة . والأخيران من الأوس .

فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا . وقال لهم رسول الله ﷺ : تَمْنعون لي ظَهْري حتى أبلغ رسالة ربي ؟ فقالوا : يا رسول الله ، نحن مجتهدون لله ولرسوله ، نحن ـ فاعلم ـ أعداء متباغضون ، وإنما كانت وقعة بُعاث [2] ، عام الأول ، يوم من أيامنا اقتتلنا فيه ، فإن تَقْدَم ، ونحن كذا ، لا يكون

---

(١) طبقات ابن سعد : ١/٢١٦ ـ ٢١٧ وما بعدها ، البداية والنهاية : ٣/١٣٨ وما بعدها ، ١٤٨ وما بعدها ، سيرة ابن هشام : المجلد الأول : ص ٢٦٢ وما بعدها ، ٤٢٢ وما بعدها ، تهذيب ابن عساكر : ٧/٢٠٨ ، حياة الصحابة : ١/٣٦١ وما بعدها .

(٢) يوم بعاث : من الأيام المشهورة التي اقتتل فيها الأوس والخزرج ، وقد حاول بعض اليهود استغلاله للوقيعة بينهم بعد الهجرة ، حينما رآهم مجتمعين ، وذكرهم بما تقاولوا فيه من الأشعار ، لكنه لم يفلح .

لنا عليك اجتماع ، فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا ، لعل الله يصلح ذات بيننا ، وموعدك الموسم المقبل .

ثم قدموا إلى المدينة ، فدعوا قومهم إلى الإسلام ، فأسلم من أسلم ، ولم يبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذِكر من رسول الله ﷺ [1] .

وفي العام المقبل أي في السنة الحادية عشرة من البعثة وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً : عشرة من الخزرج فيهم عبادة بن الصامت ، واثنان من الأوس ، فبايعهم الرسول ﷺ عند العقبة بيعة النساء : وهي بيعة العقبة الأولى . وسنذكر تفصيلها .

فعلى الرواية الأصح : لم يكن عبادة مع الخزرجيين في أول لقاء الأنصار مع الرسول ﷺ . وعلى رواية موسى بن عقبة ، كان معهم ، فهو من أوائل الأنصار إسلاماً .

ثالثاً ـ منزلته بين الصحابة :

عبادة ذو منزلة عالية بين صحابة النبي ﷺ ، لأنه شهد المشاهد كلها مع الرسول ، فهو من جماعة بيعة العقبة الأولى كما أشرنا ، والعقبة الثانية ، ومن أهل بدر وأحد والخندق ، ومن

---

(١) المراجع السابقة .

أهل بيعة الرضوان ، وهو أحد الشجعان المشهورين والفصحاء المتكلمين ، وهو فقيه مرموق بين الصحابة ، كما سنبين ، وهو من العدول الثقات حتى عند الشيعة الذين يستثنون ــ بعد علي وبعض آلــه ــ سلمان الفارسي وأبا ذر ، والمقداد بن عمرو ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وأبا الهيثم بن التيهان ، وسهل بن حنيف ، وعبادة بن الصامت ، وأبا أيوب الأنصاري ، وخزيمة بن ثابت ، وأبا سعيد الخدري[١] .

وعبادة مــن الأنصار الذين امتدحهم الله تعالى بقولــه : « والذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ مــن قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يُوقَ شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون »[٢] . وثبت في السنة عــدة أحاديث في فضائــل الأنصار ، منها قوله عليه السلام : « اللهم أنتم من أحب الناس إليّ ، اللهم أنتم من أحب الناس إلي ، يعني الأنصار »[٣] ومنها

---

(١) العواصم من القواصم : حاشية ص ١٨٣ .

(٢) الآية ٩ من سورة الحشر .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن انس رضي الله عنه (شرح مسلم : ١٦/٦٧) .

قوله أيضاً : « إن الأنصار كَرِشي وعَيْبَتي[١] ، وإن الناس سيكثرون ويَقلّون ، فاقبلوا من مُحسنهم ، واعفوا عن مسيئهم »[٢] . ومنها : « اللهم اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار »[٣] ، « حب الأنصار آية الإيمان وبغضهم آية النفاق »[٤] .

وتعرف منزلة عبادة من تصنيف طبقات الصحابة ، وهو المشهور الذي ذهب إليه الحاكم[٥] ، وهو ما يأتي :

١ ـ السابقون إلى الإسلام بمكة ، كالخلفاء الراشدين الأربعة .

---

(١) قال العلماء : معناه جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم واعتمدهم في أموري . قال الخطابي : ضرب مثلاً بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون به بقاؤه . والعيبة : وعاء معروف اكبر من المخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ويصونها . ضربها مثلاً لأنهم أهل سره وخفي أحواله .

(٢) اخرجه مسلم عن انس ايضاً وشرح مسلم ٦٨/١٦ .

(٣) أخرجه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه (شرح مسلم : ٦٧/١٦) .

(٤) أخرجه مسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه . واخرج أيضاً عن البراء : « انه ﷺ قال في الأنصار : لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق » (شرح مسلم : ٦٣/٢) .

(٥) الباعث الحثيث : ص ١٨٤ .

٢ ـ الصحابة الذين أسلموا قبل تشاور أهل مكة في دار الندوة .

٣ ـ مهاجرة الحبشة .

٤ ـ أصحاب العقبة الأولى .

٥ ـ أصحاب العقبة الثانية ، وهم من الأنصار .

٦ ـ أول المهاجرين الذين وصلوا إلى النبي ﷺ بقباء قبل أن يدخل المدينة .

٧ ـ أهل بدر .

٨ ـ الذين هاجروا بين بدر والحديبية .

٩ ـ أهل بيعة الرضوان في الحديبية .

١٠ ـ من هاجر بين الحديبية وفتح مكة ، كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

١١ ـ مسلمة الفتح ، الذين أسلموا في فتح مكة .

١٢ ـ صبيان وأطفال رأوا النبي ﷺ يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها .

وأفضل الصحابة ، بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام[١] : أبو بكر الصديق ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي .

---

(١) الباعث الحثيث : ص ١٨٣ ، تهذيب الأسماء للنووي : ١٥/١ ، علوم الحديث لابن الصلاح : ص ٢٦٨ وما بعدها .

ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، ثـم أهل بدر ، ثـم أهل أحد والعقبتين : الأولى والثانية ، ثم أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية .
قال الإمام أبـو منصور البغدادي : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة : ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة ، ثم البدريون ، ثم أصحاب أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية .

واستدرك ابن الصلاح على هذا الترتيب فقال : وفي نص القرآن تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار : وهم الذين صلوا إلى القبلتين في قول سعيد بن المسيب وطائفة . وفي قول الشعبي : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان . وعن محمد بن كعب القرظي وعطاء بن يسار أنهما قالا : هم أهل بدر ، روى ذلك عنهما ابن عبد البر فيما وجدناه عنه ، والله أعلم .

وبناء عليه فإن عبادة بن الصامت إما في الرتبة الثانية من الصحابة بعد العشرة المبشرين بالجنة ، لأنه بدري أحدي عقبي شجري . وإما في المرتبة الأولى على قول الشعبي ومحمد بن كعب وعطاء بن يسار ، لأنه ، بدري شجري . لذا وصفه المؤرخون بأنه « كان من سادات الصحابة »[1] « كان فاضلاً خيراً جميلاً طويلاً جسيماً »[2] .

* * *

(١) حسن المحاضرة : ٢١١/١ .

(٢) تهذيب الأسماء : ٢٥٧/١ .

الفصل الثالث

حياته الأدبية ومقوماته الذاتية

أولاً - إيمانه الراسخ :

كان عبادة مثلاً أعلى في الإيمان القوي والعقيدة الراسخة والإخلاص في سبيل المبدأ والغاية ، منذ اللحظة الأولى التي آمن فيها ، وكان بعدها أحد النقباء ليلة العقبة ، وكان إيمانه منبع البطولات في المعارك التي خاضها ، وسر صلابته في الحق ، وثباته على السنة والأحكام الإسلامية عامة .

وشهد الله تعالى له ولمن اشترك في بيعة الرضوان بالإيمان ، وأسبغ عليهم رضوانه ، فقال عز من قائل : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيزاً حكيماً »[1] .

---

(١) الآيتان ١٨ و ١٩ من سورة الفتح .

وله مواقف شهيرة ومحن تدل على إيمانه العميق ، منها عن عمرو بن قيس أن عبادة أتى حجرة معاوية ، وهو بأنْطَرطُوس (سيأتي تحديدها) ، فألزم ظهره الحجرة ، وأقبل على الناس بوجهه وهو يقول : بايعت رسول الله ﷺ أن لا أبالي في الله لومة لائم[1] . وكان ذلك في بيعته ليلة العقبة في الحديث المتواتر الذي سبق ذكره : « نقول بالحق حيثما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم »[2] .

ومنها موقفه من يهود بني قينقاع : ذكر في المغازي لابن إسحاق عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : لما حارب بنو قينقاع بسبب ما أمرهم عبد الله بن أبي ، وكانوا حلفاءه ، فمشى عبادة بن الصامت ، وكان له من الحلف مثل الذي لعبد الله ابن أبي ، فخلعهم وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم ، فنزلت الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم »[3] .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢١٣/٧ .

(٢) مسند احمد : ٣١٤/٥ .

(٣) الآية ٥١ من سورة المائدة ، الإصابة : ٢٦٩/٢ ، تهذيب ابن عساكر : ٢٠٩/٧ .

وإيمان عبادة الصادق : هو الذي عرّفه طريق الجنة ، فعمل لله ، وجاهد في سبيل الله ، ودعا إلى الله ، وحدد للناس أصول الإيمان ، وفقاً لما حدث به عن رسول الله ﷺ قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه[1] ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله تبارك وتعالى الجنة على ما كان من عمل »[2] .

ثانياً : عبادته وتقواه وورعه :

كان عبادة كثير الصلاة والعبادة ، شديد الخوف والخشية من الله ، ملتزماً جانب التقوى لله ، يؤدي واجبه خير الأداء ، ويكثر الدعاء والاستغفار ، وينفر من المعاصي والمحرّمات .

---

(1) هذا الوصف لعيسى عليه السلام مستمد من القرآن في الآية ١٧١ من سورة النساء : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم ، رسول الله وكلمته القاها إلى مريم ، وروح منه » سمي عيسى « كلمة » لأنه خلق بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام وهي التي قال بها: « كن » فكان . وسمي « روحاً » أي رحمة لأنه وجد بالروح التي ارسل بها جبريل ، من غير اب ، وإنما بنفخ الروح في أمه مباشرة (تفسير ابن كثير : ٥٩٠/١) .

(2) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود عن عبادة رضي الله عنه (مسند أحمد : ٥ : ٣١٣ وما بعدها ، سنن أبي داود : ١ : ١٠٠ ، والفتح الكبير ٣ : ٢٠٣) .

وقد أدرك أهمية الصلاة مما رواه عن رسول الله ﷺ قال : « خمس صلوات افترضهن الله على عباده ، من أحسن وضوءهن ، وصلاتهن لوقتهن ، فأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن ، كان له عند الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه »[1] .

وكان يحرص على أداء الصلاة لوقتها ، عملاً بقول النبي ﷺ فيما يرويه بنفسه عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إنها ستكون عليكم أمراء تشغلهم أشياء عن الصلاة ، حتى يؤخروها عن وقتها ، فصلوها لوقتها ، قال : فقال رجل : يا رسول الله ، فإن أدركتها معهم أصلي ؟ قال : إن شئت »[2] .

وكان يكثر من الدعاء والتضرع لله تعالى في الليل والنهار وفي المناسبات . روى عن النبي ﷺ أنه قال : « من تعارَّ[3] من الليل ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : رب اغفر لي ـ أو

---

(١) اخرجه احمد في مسنده (راجع ٣١٧/٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥).

(٢) اخرجه احمد في مسنده (راجع ٣١٣/٥ ، ٣١٥ ، ٣٢٩) واخرجه ابو داود ايضاً في سننه (١٠٢/١) .

(٣) هبَّ من النوم وهو يتكلم .

قال : ثم دعاه ـ استجيب له ، فإن عزم فتوضـأ ، ثـم صلى ، تُقُبِّلت صلاته »[1] .

وروى دعاء الرسول ﷺ عند رؤية الهلال ، فقال : كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قـال : « الله أكبر ، الحمد لله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إني أسألك خـير هـذا الشهر ، وأعوذ بك من شر القدر ، ومن سوء الحشر »[2] .

وروى أيضاً حديث ثمرة الدعاء وفضائـله ، فقال : « إن رسول الله ﷺ قال : ما على ظهر الأرض مـن رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو كف عنـه من السوء مثلها ، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم »[3] .

وقد وصف لنا مراتب الجنة ، لطلبها في الدعاء فيما يرويه عن النبي ﷺ فقال : « الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام ، أو كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها تخرج الأنهار الأربعة ، والعرش من فوقهـا ، وإذا سألتم الله تبارك وتعالى فاسألوه الفردوس »[4] .

---

(1) أخرجه البخاري وأبو داود وأحمد الترمذي وابن ماجه عن عبادة بن الصامت (مسند أحمد : ٣١٣/٥ ، ذخائر المواريث : ص ٢٧٩) .

(٢و٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٢٩/٥) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣١٦/٥ ، ٣٢١) .

وكان شعار عبادة في صلاته وأعماله كلها : هو ما رواه عن النبي ﷺ أنه قال :

« من احب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »[1] .

ويشتد بكاء عبادة حينما يذكر موطن العذاب ، أخرج أبو نعيم في الحلية عن عثمان بن أبي سَوْدة قال : « رأيت عبادة بن الصامت رضي الله عنه وهو على هذا الحائط ـ حائط المسجد المشرف على وادي جهنم ـ واضعاً صدره عليه ، وهو يبكي ، فقلت : يا أبا الوليد ما يبكيك ؟ قال : هذا المكان الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى فيه جهنم »[2] .

إخلاصه في العبادة :

يحرص ابن الصامت أن تكون عبادته وأعماله كلها خالصة لله عز وجل لايشوبها شيء من الشرك والرياء وشهوات الدنيا ، بدليل القصة التالية[3] :

---

(١) اخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي واحمد (ذخائر المواريث : ص ٢٧٩ ، مسند احمد : ٣١٦/٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٨) .

(٢) حياة الصحابة : ٢٦٤/٣ .

(٣) تهذيب ابن عساكر : ٢٠٧/٧ وما بعدها .

أخرج الحافظ ابن حجر من طريق أبي يعلى بن الفراء الحنبلي والبغوي عن شهر بن حَوْشَب قال : سمعت عبد الرحمن ابن غَنْم يقول : لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء ، ألفينا عبادة بن الصامت ، فأخذ يميني بشماله ، وشمال أبي الدرداء بيمينه ، فخرج يمشي بيننا ، فقال عبادة : إن طال بكما عمر أحدكما ، أو كلاكما ، فيوشك أن تريا الرجل من ثَبَج[1] المسلمين قد قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ أعاده وأبدأه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، ونزل عند منازله ، أو قرأه على لسان أحد ، لا يحور[2] فيكم إلا كما يحور رأس الحمار الميت . فبينا نحن كذلك ، إذ طلع علينا شداد بن أوس ، وعوف بن مالك (صحابيان) ، فجلسا إلينا ، فقال شداد : إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول :

« من الشهوة الخفية ، والشرك » .

فقال عبادة وأبو الدرداء : اللهم غفراً ، أو لم يكن رسول الله ﷺ قد حدثنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب ؟.

فأما الشهوة الخفية فقد عرفناها ــ فهي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها ــ فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد ؟

---

(١) الثبج من كل شيء : وسطه ، أو معظمه ، او اعلاه .

(٢) حار : رجع .

قال : أرأيتكم أحداً يصلي لرجل ، أو يصوم له ، أو يتصدق له ، أترون أنه قد أشرك ؟ قالوا : نعم . قال شداد : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من صلى يرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يرائي فقد أشرك » فقال عوف : ولا يقبل الله إلا ما ابتغي فيه وجهه من ذلك العمل كله ، فيتقبل منه ما خلص له ، ويدع ما أشرك به فيه ؟ فقال شداد : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى :

« أنا خير قسيم ، فمن أشرك بي شيئاً ، فإن جسده وعمله وقليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به ، أنا عنه غني » .

مخافته من الخلوة بامرأة اجنبية :

يسدُّ عبادة كل منافذ الشيطان ، ومن أخطرها النساء لمكرهن وخداعهن وإغرائهن : « إن كيدكن عظيم »[1] وقال ﷺ : « لا يخلون رجل بامرأة ، فإن ثالثهما الشيطان »[2] أي خشية أن يوقع بينهما الشيطان الفتنة . وله قصة طريفة في هذا الشأن[3] :

---

(١) الآية ٢٨ من سورة يوسف .

(٢) انظر سبل السلام : ٢/١٨٣ .

(٣) تهذيب ابن عساكر : ٧/٢١٣ .

مَرَّ عبادة بقرية يقال لها « دُمَّر »[1] من قرى الغوطة ، فأمر غلامه أن يقطع له سواكاً من صفصاف على نهر بردى ، فمضى ليفعل ، ثم قال لــه : ارجع فإنه إلا يكن بثمن فإنه ييبس فيعود حطباً بثمن . وقال عبادة لأصحابه : « ألستم تروني لا أقوم إلا رَفْداً[2] ، ولا آكل إلا ما لُوِّق لي[3] ، وقد مات صاحبي منذ زمان ، وما يسرني أني خلوت بامرأة لا تحل لي ، وأن لي ما تطلع عليــه الشمس ، مخافــة أن يأتي الشيطان ، فيحركــه علي ، إنه لا سمع له ولا بصر »[4] .

ألا فليصغ الشباب في الجامعات وغيرها لهذا ، وليقارنوا بصدق وروية بين ذلك وبين ما يدّعونه من المقابلات والأحاديث البريئة مع الفتيات !!

---

(١) هي ضاحية جميلة من ضواحي دمشق في وادي بردى قرب مدخل دمشق من جهة بيروت ، تبعد عنها ٦ كم .

(٢) رفده رفداً من باب ضرب : أعانه . اي لا يقوم ولا ينهض إلا بإعانة غيره .

(٣) لوق الطعام : أصلحه بالزبدة أي أنه لا يستطيع من الطعام إلا ما ليّن له كالزبدة في اللبن .

(٤) رواه أبو بكر البيهقي وقال : قوله : إلا رفداً يريد إلا أن ارفد فأعان على القيام حتى أنهض وقوله : إلا مالوق : يريد إلا مالين من الطعام ، حتى يصير كالزبدة في لينه ، وذلك من الكِبَر . وقوله : قد مات صاحبي ، وإنه لا سمع له ولا بصر : يريد به عضوه التناسلي ، وانه لا يقدر على شيء ، ولا يعرفه ، وانا مع هذا اكره ان اخلو بامرأة .

ثالثاً ـ مناقبه :

كان عبادة كما عرفناه من أورع الصحابة وأزهدهم في الدنيا، وكان من سادات الصحابة ، وأحد النقباء ليلة العقبة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وممن بايعوا النبي تحت الشجرة بيعة الرضوان في السنة السادسة في ذي القعدة قبل صلح الحديبية ، وممن أعلنوا براءتهم من حلف اليهود ، كما سنفصل كل ذلك .

ونذكر هنا بعض مناقبه وخصائصه الخلقية والدينية :

١ ـ عفته :

كان أبي النفس ، عالي الهمة ، عفيف اليد ، خالي المطمع في مغانم الدنيا وزينتها . أخرج الإمام أحمد عنه أنه قال : علّمت ناساً من أهل الصُّفّة(١) الكتابة والقرآن ، فأهدى إلي رجل منهم قوساً ، فقلت : ليست لي بمال ، وأرمي عنها في سبيل الله تبارك وتعالى ، فسألت النبي ﷺ فقال : إن سرك أن تطوّق بها طوقاً من نار ، فاقبلها (٢) .

وفي رواية أخرى أوضح قال : « كان رسول الله ﷺ يشغل ، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا

---

(١) أهل الصفة : كانوا أضياف الإسلام . كانوا يبيتون في مسجده ﷺ ، وهي موضع مظلل من المسجد .

(٢) مسند أحمد : ٣١٥/٥ .

يعلمه القرآن ، فدفع إلي رسول الله ﷺ رجلاً ، وكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت ، فكنت أقرئه القرآن ، فانصرف انصرافة إلى أهله ، فرأى أن عليه حقاً ، فأهدى إلي قوساً ، لم أرَ أجود منها عوداً ، ولا أحسن منها عَطْفاً ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : ما ترى يارسول الله فيها ؟ قال : جمرة بين كتفيك تقلدتها ، أو تعلقتها »[1] .

فرضي الله عن عبادة المعلم الكاتب العفيف النزيه ، وليحذر الناس من الهدايا المشبوهة .

وحادثة أخرى تدل على عفته وترفعه وعقله الكبير :

حينما كان المسلمون يحاصرون حصن بابليون في أم دُنَين[2] وأبطأ عليهم الفتح ، وبينما عبادة بن الصامت في ناحية يصلي ، وفرسه عنده ، رآه قوم من الروم ، فخرجوا إليه ، وعليهم حلية وبِزَّة ، فلما دنوا منه ، سلّم من الصلاة ، ووثب على فرسه ، ثم حمل عليهم ، فلما رأوه ، ولّوا هاربين وتبعهم ، فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم ؛ فصار لا يلتفت إليه حتى دخلوا إلى الحصن ، ورُمي عبادة من فوق

---

(١) مسند أحمد : ٥/٣٢٤ .

(٢) أم دنين : كانت تطلق قبل الإسلام على المقس . وكانت واقعة على النيل ويقع فيها الآن جامع أولاد عنان ، وشارع كامل ، وحديقة الأزبكية .

الحصن بالحجارة ، فرجع ولم يتعرض لشيء مما طرحوه من متاعهم ، حتى رجع إلى موضعه الذي كان فيه ، فاستقبل الصلاة ، وخرج الروم إلى متاعهم وجمعوه [1] .

ويؤكد هذا المعنى روايته لنا حديثاً عن النبي ﷺ أنه قال : « من غزا في سبيل الله وهو لا ينوي في غزاته إلا عقالاً فله ما نوى » [2] .

والحق : أن المجاهد في سبيل الله ، إن شغل بالغنائم عن الجهاد ، خذل وضعف وهزم ، كما حدث في الجولة الأولى للمسلمين في موقعة أحد .

٢ ـ رحمته :

إن عبادة القائد الحربي الشديد في قتال العدو ، كان إنساناً رحيماً عطوفاً في دائرة الرابطة الإيمانية مع إخوانه المسلمين ، وهاتان الصفتان المتعارضتان في الظاهر ، هما ميزتا المؤمنين الذين رباهم الإسلام في عصر الوحي ، قال تعالى واصفاً خصالهم : « أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين » [3]

---

(١) النجوم الزاهرة : ٩/١ .

(٢) مسند أحمد : ٣١٥/٥ ، والعقال : حبيل صغير يشد به البعير لئلا يفر ، يقول : من جاهد وكان من نيته أن يغنم ولو عقالاً ، فإن ذلك أجره (جامع الأصول :٣٥٢/٣) .

(٣) الآية ٥٤ من سورة المائدة .

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً »[1] .

وقد روى لنا عبادة نفسه حديث الرحمة بغيره ، وهو أن رسول الله ﷺ قال : « ليس منا من لم يُجلّ كبيرَنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمِنا حقه »[2] .

٣ ـ إيثاره وجوده ومحبته إخوانه :

امتاز الأنصار بفضيلة إنسانية رائعة : وهي صفة الجود والإيثار فكانوا يؤثرون على أنفسهم غيرهم ، ويقدمون المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من الطيبات مع الحاجة إليه ، ومع أنهم أهل الدار والوطن ، وهذا مظهر من مظاهر الإيمان والإخاء الذي فعله النبي ﷺ عندما استقر بالمدينة . وهو بلا شك يدل على صفاء النفس من أكدار الدنيا والمادة الفانية ، ويدل على قوة الروح ومبلغ العزوف عنها ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون وحدهم ؛ لأن الشح داء عضال لا يصدر عنه خير ،

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح .

(٢) أخرجه أحمد والحاكم (مسند أحمد : ٣٢٣/٥ ، الفتح الكبير : ٦٧/٣ وما بعدها) .

ويسبب الكثير من الجرائم[1] ، قال تعالى مسجلاً لهم هذه الميزة : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة [2] ، ومن يوق شح نفسه فأولئـك هم المفلحون »[3] .

ومن أمثلة إيثار وَجودِ عبادة ، هذه القصة[4] :

قال الوليد بن عبادة : أهديت لعبادة هدية ، وإن معه في الدار اثني عشر، أهل بيته، فقال عبادة : اذهبوا بهذه إلى آل فلان، فهو أحوج إليها منا ، قال الوليد : فأخذتها ، فكنت كلما جئت أهل بيت يقولون : اذهبوا بها إلى آل فلان ، فهم أحوج منا إليها ، حتى رجعت الهدية إلى عبادة قبل الصبح .

وكان عبادة يحب إخوانه المؤمنين ، لا يحب أحداً إلا لله ولا يكره إلا من أجل الله . أخرج أحمد عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « حقت محبتي على المتزاورين فيّ ، وحقت محبتي على المتباذلين فيّ ،على

(١) التفسير الواضح : ١٩/٢٨ ، ط اولى .

(٢) الخصاصة : الحاجة .

(٣) الآية ٩ من سورة الحشر .

(٤) تهذيب ابن عساكر : ٢١٣/٧ .

منابر من نور ، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون »[1] وأخرج مسلم عن أنس عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[2] .

٤ ـ تواضعه :

لا يجتمع الكبر والإعجاب بالنفس مع الإيمان وحقيقة الإسلام ؛ لأن الله تعالى حرم ذلك أشد التحريم ، فقال تعالى : « ولا تصعِّر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور »[3] وقال النبي ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر : بطَر الحق ، وغَمْط الناس »[4] . وقال الله

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح (مسند أحمد : ٣٢٨/٥) وروى الترمذي مثله عن معاذ بلفظ : « المتحابون في جلالي لهم منابر من نور ، يغبطهم النبيون والشهداء » . وقال : حديث حسن صحيح (الترغيب والترهيب : ١٩/٤) .

(٢) شرح مسلم : ١٦/٢ .

(٣) الآية ١٨ من سورة لقمان . ومعنى تصعّر خدك للناس : أي تميله وتعرض به عن الناس تكبراً عليهم ، والمرح : التبختر .

(٤) رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود . وبطر الحق : دفعه ورده على قائله . وغمط الناس : احتقارهم (رياض الصالحين : ص ٢٥٤) .

عز وجل في الحديث القدسي : « العز إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن ينازعني في واحد منهما ، فقد عذبته »[1] .

فكان عبادة متواضعاً رفيقاً رحيماً ليناً مع إخوانه ، وقد روى لنا حديث النهي عن القيام للقادم ، فقال : « خرج علينا رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : لا يقام لي ، إنما يقام لله تبارك وتعالى »[2] .

ومع أن هذا الحديث فيه ضعف ، فالمراد منه خلوص العبادة والتعظيم لله تعالى ، في وقت يراد به تحقيق معنى الوحدانية الخالصة ، وبما أن القيام مشعر بالتعظيم ، والتعظيم لا يكون إلا لله ، فلا يصح ويكره القيام لغير الله تعالى[3] .

إلا أن النبي ﷺ أقر القيام المتعارف عليه بعد أن صفت النفوس واستقر فيها معنى الإيمان ، وأصبح تعظيم العبادة المختص

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رياض الصالحين: ص٢٥٥) .

(٢) أخرجه أحمد (مسنده : ٣١٧/٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : ٤٠/٨ : وفيه راو لم يسمّ ، وابن لهيعة .

(٣) يرشد لهذا الحكم حديث متواتر أخرجه أحمد وابو داود بإسناد صحيح والترمذي بلفظ « من أحب (او من سره) أن يتمثل له الرجال قياماً ، فليتبوا مقعده من النار » (نظم المتناثر في الحديث المتواتر للكتاني : ص ١٤٣) .

بالله غير مقصود من احترام الانسان المؤمن لأخيه المؤمن ، روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري ـ في حديث صحيح ـ أن أهل قريظة لما نزلوا على حكم سعد[1] ، أرسل النبي ﷺ ، فجاء على حمار أقمر [2] ، فقال النبي ﷺ : « قوموا إلى سيدكم » أو « إلى خيركم » فجاء حتى قعد رسول الله ﷺ [3] . وكان الحسن يقوم لوالدته السيدة فاطمة ، وكانت هي أيضاً تقوم إليه[4] .

٥ ـ التزامه بشرعة الله :

كان عبادة شديد التمسك والالتزام بالأحكام الشرعية وبالسنة النبوية ، بدليل هذه القصة على سبيل المثال :

أخرج البيهقي عن مَكْحول أنّ عبادة بن الصامت رضي الله عنه دعا نَبَطياً [5] يمسك له دابته عند بيت المقدس فأبى ، فضربه فشجه ، فاستعدى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال له :

---

(١) سعد بن معاذ : سيد الأوس ، حلفاء بني قريظة قبل الإسلام .

(٢) الأقمر : شديد البياض .

(٣) سنن أبي داود : ٢/٤٦٥ ، تهذيب سيرة ابن هشام : ٢/٧، الفتح الكبير : ٢/٣٠٦ .

(٤) أبو داود المرجع والمكان السابق .

(٥) الأنباط : قوم ليسوا عرباً ، كانوا يسكنون الشام ويعملون بالأرض ويدينون بالمسيحية .

ما دعاك إلى ما صنعت بهذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : أمرتـه أن يمسك دابتي فأبى ، وأنا رجل فيَّ حدة ، فضربته . فقال : اجلس للقِصاص . فقال زيد بن ثابت رضي الله عنه : أتُقيد عبدك من أخيك ؟ فترك عمر رضي الله عنه القَوَد ، وقضى عليه بالدية[١] . أي دية الشج .

هذه أجلى مناقب عبادة ، ويجمعها تخلقه بأخلاق النبوة وهي أصول الأخلاق فيما يرويـه بنفسه عن النبي ﷺ أنـه قال : « اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم »[٢] .

والخلاصة : أن التاريخ لم يسجل لعبادة سقطـة ، وإنمـا كان ذا حساسية مفرطة ، وورع شديد في دين الله، فصار على جانب عظيم من الأخلاق العليا ، وهل بغير هذه الأخلاق علا قدر عبادة وأمثالـه ؟!

رابعاً ـ مناصبه التي تقلدها :

تقلد عبادة عدة مناصب في عهد النبوة وفي عصر الخلافة الراشدية .

---

(١) حياة الصحابة : ٢٤١/٢ .

(٢) اخرجه احمد في مسنده : ٣٢٣/٥ .

١ـ عبادة الوالي :

كان عبادة عاملاً على جباية الصدقات في عصر النبوة ، استعمله النبي ﷺ وقال له : « اتق الله يا أبا الوليد ، اتق الله ، لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة لها ثؤاج[١] ، فقال : يا رسول الله ، إن ذلك كذلك ؟ قال : إي والذي نفسي بيده ، إن ذلك لكذلك ، إلا من رحم الله عز وجل، قال : فوالذي بعثك بالحق لا أعمل على اثنين أبداً »[٢] .

وذكر خليفة بن خياط : أن أبا عبيدة ولاه إمرة حمص ، ثم صرفه إلى الجهاد، وولى عبد الله بن قرط[٣].ولما توفي أبو عبيدة ولاه عمر حمص[٤] ثم صرفه إلى الجهاد في مصر . ثم عاد إلى بلاد الشام ، فلم يزل بالشام إلى أن توفي بالرملة[٥] . قال ابن عساكر : سكن الشام ، ودخل دمشق قبل فتحها وبعده[٦] .

---

(١) الثؤاج : صياح الغنم .

(٢) أسد الغابة : ٣/١٠٦ ، تهذيب ابن عساكر : ٧/٢١٠ . طبقات ابن سعد : ٧/٣٨٧ ، تهذيب الأسماء : ١/٢٥٧ .

(٣) الإصابة : ٢/٢٦٩ .

(٤) فتوح البلدان ، البلاذري : ص ١٤٥ .

(٥) طبقات ابن سعد : ٧/٣٨٧ .

(٦) تهذيب ابن عساكر : ٧/٢٠٦ .

٢ ـ القائد الفاتح :

كان عبادة بن الصامت من أشهر قادة الفتوح في الشام ومصر ، وكان مجرد وجوده في جيش يرفع معنويات الجيش الفاتح، مثل خالد بن الوليد تماماً . وقد شهد له عمر بن الخطاب بأنه يعدل ألف رجل ، لامتيازه بروح عالية من التضحية ، وقدرة فائقة على القتال والاقدام ، وشجاعة نادرة في ميدان المعارك ، وعقلية راجحة في التخطيط والتقدير ، وفهم أسرار العدو وتحركاته وإحباط مؤامراته ، وحب في الموت في سبيل الله ، وإيمان بالقضاء والقدر ، وتفان في سبيل نصرة الإسلام .

أما شهادة عمر فيه ، فقد تواترت بها أخبار التاريخ : أخرج ابن عبد الحكم عن زيد بن أسلم ، قال : لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر ، كتب إلى عمرو بن العاص ، أما بعد : فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين ؛ وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم،وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر ، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل ، على ما كنت أعرف ، إلا أن يكون غيّرهم ما غيّرهم ! فإذا أتاك كتابي ، فاخطب الناس ، وحضهم على قتال عدوهم ، ورغبهم في الصبر والنية ، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ، ومُرِ الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك

عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل الرحمة فيها ، ووقت الإجابة ، وليعج[1] الناس إلى الله ، ويسألوه النصر على عدوهم .

فلما أتى عَمْراً الكتاب ، جمع الناس ، وقرأ عليهم كتاب عمر ، ثم دعا أولئـك النفر ، فقدّمهم أمام الناس ، وأمر الناس أن يتطهروا ، ويصلوا ركعتين ، ثم يرغبوا إلى الله تعالى ، ويسألوه النصر على عدوهم ، ففعلوا ففتح الله عليهم[2] .

أما الإمداد فقد حدث بناء على طلب من عمرو بن العاص ، وتعرف أسبابه مما يأتي ، كما يعرف الرجال الأربعة قادة الحرب الذين وصفهم عمر بأن كل رجل مقام الألف :

كتب عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنهما يستمده ، فأمده بأربعة آلاف ، تمام ثمانية آلاف كانوا مع عمرو ، فوصلوا إليه أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً ، ثم أحاط المسلمون بالحصن (حصن بابليون) عند أم دُنَيْن (مكان حديقة الأزبكية اليوم) ، وكان أميره يومئذ « المَنْدَفُور » الذي يقال له « الأعيرج » من قبل المقوقس ، وهو ابن قَرْقَب اليوناني . وكان المقوقس ينزل بالاسكندرية ، وهو في سلطان هِرَقْل ، غير أنـه كان حاضراً بالحصن حين حاصره المسلمون .

---

(١) عج : صاح وارتفع صوته .

(٢) حسن المحاضرة : ١/١٢٠ ، فتوح مصر لابن عبد الحكم : ص ٨٩ ، حياة الصحابة : ٤/٦٢٦ .

فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن ، وجاء رجل إلى عمرو ، وقال : اندب معي خيلاً ، حتى آتي من ورائهم عند القتال . فأخرج معه عمرو خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حُذَافة في قول ، فساروا من وراء الجبل ، حتى وصلوا مغار بني وائل قبل الصبح . وكانت الروم قد خندقوا خندقاً ، وجعلوا له أبواباً ، وبثوا في أفنيتها حَسَك الحديد[1] ، فالتقاهم القوم حين أصبحوا، وخرج خارجة من ورائهم ، فانهزموا حتى دخلوا الحصن (حصن بابليون) وقاتلهم قتالاً شديداً بصبحهم وعشيّهم .

فلما أبطأ الفتح على عمرو ، كتب إلى عمر رضي الله عنه يستمده ، ويعلمه بذلك ، فأمده بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومَسْلَمة بن مُخَلَّد[2] ـ في قول ـ وقيل : خارجة بن حُذَافة الرابع ، لا يعدُّون مسلمة .

---

(١) حَسَك الحديد : أسلاك كالشوك تعمل من الحديد ، تلقى حول المعسكر لتنشب في رجل من يدوسها من الخيل والناس الطارقين له ، وهي المعروفة الآن بـ « الأسلاك الشائكة » .

(٢) هذا هو الرابع في الأرجح ؛ لأنه سكن مصر ، ومات فيها سنة اثنتين وستين .

وقال عمر له : اعلم أن معك اثني عشر ألفاً ، ولن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة[1] .

اعماله العسكرية :

أما أعماله الحربية فكثيرة في عهد الرسول ﷺ وما بعده في عصر الراشدين ، مما يدل على أن حياته كانت في جهاد متواصل .

شهد موقعة بدر الكبرى ، وأحداً والخندق ، والمشاهد الحربية كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان بايع الرسول أن لا يخاف في الله لومة لائم[2] .

وغزا أرض الروم مع معاوية[3] واشترك في فتح اللاذقية ،

---

(١) النجوم الزاهرة : ٨/١ ، فتوح مصر : ص ٦١ ، معجم البلدان : ٢٦٢/٤ ، حياة الصحابة : ٦٢٧/٤ ، حسن المحاضرة : ١٠٧/١ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، فتوح البلدان : ص ٢١٥ ، الفتوحات الإسلامية لدحلان : ٦٨/١ وما بعدها ، فتوح الشام للواقدي : ٣٨/٢ ، تاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم : ٢٣٦/١ .

(٢) الإصابة : ٢٦٨/٢ ، طبقات ابن سعد : ٥٤٦/٣ ، ٦٢١ ، ٣٨٧/٧ ، أسد الغابة : ١٠٦/٣ . تهذيب التهذيب : ١١١/٥ ، شذرات الذهب : ٤٠/١ ، تهذيب الأسماء : ٢٥٧/١ ، تهذيب ابن عساكر : ٢٠٨/٧ ، المعارف : ص ٢٥٥ .

(٣) سنن ابن ماجه : ٨/١ .

وجَبْلَة[1] ، وأنْطَرْطوس[2] ، وقبرص[3] ، وشهد فتح مصر سنة ٢٠ هـ ، وكان أمير ربع المدد[4] ، وكان قائد فتح الاسكندرية

---

(١) الفتوحات الإسلامية لدحلان : ٥٢/١ .

(٢) المرجع السابق . انطرطوس : بلد من سواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية ، وأول أعمال حمص . وقال أبو القاسم الدمشقي : من أعمال طرابلس مطلة على البحر في شرقي عرقة ، بينهما ثمانية فراسخ ، ولها برجان حصينان كالقلعتين . وقال أحمد بن يحيى بن جابر : وفتح عبادة بن الصامت في سنة ١٧ هـ بعد فتح اللاذقية وجبلة : أنطرطوس ، وكان حصناً ، ثم جلا عنه أهله (معجم البلدان : ٢٧٠/١) وهي اليوم طرطوس .

(٣) قبرص : هي جزيرة في بحر الروم (البحر الأبيض) وبأيديهم دورها ، مسيرة ستة عشر يوماً (معجم البلدان : ٣٠٥/٤) تم فتحها في خلافة عثمان رضي الله عنه في سنة ٢٨ هـ على يد جماعة من الصحابة منهم أبو ذر وأبو الدرداء وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام التي استشهدت أثناء فتحها ودفنت فيها . (معجم البلدان : ٣٠٥/٤) ، البداية والنهاية : ١٥٣/٧ ، فتوح البلدان ، البلاذري : ص ١٥٨ ، الفتوحات دحلان : ١٧٣/١ .

(٤) فتوح مصر : ص٦١ ، الإصابة : ٢٦٨/٢، حسن المحاضرة: ٢١١/١ ، النجوم الزاهرة : ٢١/١ ، تاريخ ابن الوردي : ٢٢٥/١ ، تاريخ ابن خلدون : ١١٤/٢ ، الكامل : ٥٦٤/٢ ، فتوح البلدان : ص ٢١٤ ، ابن عساكر : ٢٠٨/٧ .

سنة ٢٥ هـ[١] . قال ابن عبد الحكم : لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الاسكندرية ، استلقى على ظهره ، ثم جلس فقال : إني فكّرت في هذا الأمر ، فإنه لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله ـ يريد الأنصار ـ فدعا عبادة بن الصامت ، فعقد له ، ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك[٢] .

اعماله العمرانية :

اشترك عبادة مع قادة الفتح في الشام ومصر في بناء البلدان والحصون والمساجد . فبنى مع معاوية أنطرطوس وحصنها ، وبنى باللاذقية مسجداً جامعاً ، ثم وسع فيه[٣] ، وبنى مع عمرو بن العاص الفسطاط[٤] وأول جامع في مصر سنة ٢١ هـ هو جامع

---

(١) المراجع السابقة : فتوح مصر : ص ٧٣ ، ٨٠ . حسن المحاضرة : ١/١٢٠ ، وقد سار لفتحها عمرو بن العاص بعد استئذان عمر سنة٢١ . وفي معجم البلدان : ١/١٨٨ : تم فتحها سنة ٢٠هـ .

(٢) حسن المحاضرة : ١/١٢٠ . تاريخ الإسلام السياسي : ١/٢٣٩ .

(٣) الفتوحات الإسلامية لدحلان : ١/٥٢ .

(٤) الفسطاط : معناه ان الفسطاط الذي كان لعمرو بن العاص هو بيت من أدم أو شعر .

وقال صاحب العين : الفسطاط ضرب من الأبنية . قال : والفسطاط ايضاً مجتمع اهل الكورة حوالي مسجد جماعتهم ، ←

عمرو الذي ما يزال إلى الآن . وقد قام على إقامة قبلته ثمانون صحابياً ، منهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأبو ذر الغفاري . وكتب القرآن جميعه على ألواح من الرخام الأبيض بخط كوفي بيّن في حيطانه من أعلاها إلى أسفلها . وجعل أعشار القرآن وآياته وأعداد السور بالذهب واللازورد . فيقرأ الانسان جميع القرآن منها وهو قاعد . لكن استولى الفرنج على ذلك وخربوه[1] .

والخلاصة أن عبادة كان في حياته كلها مجاهداً في سبيل الله ، مبتغياً رضوان الله ، لا يقصد من عمله إلا خدمة الإسلام ، والفوز بالجنة ، وقد روى لنا حديثاً عن النبي ﷺ كدليل على جهاده ، قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى ، فإنه باب من أبواب الجنة ، يذهب الله به الهم والغم »[2] ؛ بل وكل عمل يموت من أجله صاحبه وهو لله أو بقدر الله فهو

←

يقال : هؤلاء اهل الفسطاط . وفي الحديث « عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط » يريد المدينة التي يجتمع فيها الناس . وكل مدينة فسطاط . ومنه قيل لمدينة مصر التي بناها عمرو بن العاص الفسطاط (معجم البلدان : ٢٦٣/٤ وما بعدها) .

(١) آثار البلاد واخبار العباد للقزويني : ص ٢٣٧ .

(٢) رواه احمد في مسنده : ٣١٩/٥ .

إما شهيد معركة أو في حكم الشهيد ، روى عبادة نفسه فضل الإسلام في هذا المجال ، فقال : « عاد رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة ، فما تحوّز[1] له عن فراشه ، فقال : مَنْ شهداء أمتي ؟ قالوا : قتل المسلم شهادة ؛ قال : إن شهداء أمتي إذاً لقليل ، قتلُ المسلم شهادة ، والطاعون[2] شهادة ، والبَطِن والغَرِق والمرأة يقتلها ولدها جمعاء »[3] . فالشهادة : القتل في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ، والقتيل في سبيل الله تبارك وتعالى شهيد ، والمطعون شهيد ، والمبطون شهيد ، والغريق شهيد والمرأة التي تموت في أثناء الطلق شهيد . وقد روى جابر حديثاً مرفوعاً : « الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله : المطعون ، والمبطون ، والغَرِق ، والحَرِق ، وصاحب ذات الجنب ، والذي يموت تحت الهدم ، والمرأة تموت بَجمْع »[4] أي بنفاس .

---

(١) تحوّز : تنحى .

(٢) الطاعون : داء ورمي وبائي فتاك .

(٣) رواه احمد في مسنده : ٥/٣١٤ ، ٤/٢٠١ ، والمراد بالجمعاء يعني النفساء ، وله روايات أخرى عن أبي هريرة (جامع الأصول : ٣/٣٣٥) .

(٤) جمع الفوائد ٢/١٥ .

٣ ـ القاضي العادل :

وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبادة إلى الشام قاضياً ومعلماً ، فأقام بحمص ، ثم انتقل إلى فلسطين ، فولي قضاءها ، واستقر به المقام فيها ، فكان أول من تولى قضاء فلسطين ، وكان أيضاً يعلم أهلها القرآن ، وظل على هذا النحو إلى أن مات بها[١] .

وإذا كان عبادة كما بينا قد قدم نفسه للقصاص من كل ذي حق عنده ، فهو من أعدل القضاة وأثبتهم في حقوق الناس ، وهو إذاً من أهل الجنة ، قال رسول الله ﷺ : « القضاة ثلاثة : اثنان في النار ، وواحد في الجنة ، رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة . ورجل عرف الحق فلم يقض به ، وجار في الحكم فهو في النار . ورجل لم يعرف الحق ، فقضى للناس على جهل ، فهو في النار »[٢] .

ومن أخبار عبادة في القضاء التي تدل على اهتمامه بقضاياه

---

(١) الإصابة : ٢/٢٦٩ ، أسد الغابة : ٣/١٠٦ ، مجمع الزوائد ٩/٣٢٠ ، تهذيب التهذيب : ٥/١١٢ ، تهذيب الأسماء : ١/٢٥٧ ، شذرات الذهب : ١/٤٠ ، تهذيب ابن عساكر : ٧/٢٠٨ ، الاستيعاب: ٢/٨٠٨ ، مشاهير علماء الأمصار : ص ١٥٩ .

(٢) رواه أصحاب السنن الأربعة عن بريدة رضي الله عنه (سبل السلام : ٤/١١٥) .

ومشكلاته التي تثير منازعات حادة بين الخصوم : خبره الجامع لمسائل وأحكام كثيرة ، قال[1] :

إن من قضاء رسول الله ﷺ : أن المعدن جُبَار ، والبئر جُبَار ، والعجماء جَرْحها جبار[2] ـ والعجماء : البهيمة من الأنعام وغيرها ، والجبار : هو الهَدَر الذي لا يغرم ـ وقضى في الركاز[3] الخمس ، وقضى أن ثمر النخل لمن أبَّرها ، إلا أن يشترط المبتاع ، وقضى أن مال المملوك لمن باعه إلا أن يشترط

---

(١) مسند احمد : ٣٢٦/٥ وما بعدها ، مجمع الزوائد : ٢٠٣/٤ وما بعدها .

(٢) المقصود من الامور الثلاثة : ان المعادن لا زكاة فيها (وقال الشافعي وأحمد : فيها ربع العشر) ، والواقع في الآبار المملوكة لا يضمن ، لأن كل إنسان حر التصرف في أملاكه عملاً بالقاعدة الشرعية « الجواز الشرعي ينافي الضمان » ، والإتلاف الذي يحدثه الحيوان من تلقاء نفسه ولم يكن عقوراً ، ولا فرط مالكه في حفظه ؛ لا يضمن (راجع كتابنا نظرية الضمان : ص ٢١٢ ، ٢٢٩) .

(٣) الركاز : المال المدفون يؤخذ من غير أن يطلب بكثير عمل ، سواء أكان ذهباً أو فضة أو غيرهما ، وخصه الشافعي بهما ، وهل المعدن ركاز ؟ للعلماء فيه رأيان : قال الجمهور : لا يقال للمعدن ركاز ، والركاز : المال المدفون في الأرض من كنوز الجاهلية . وقال أبو حنيفة والثوري والهادوية : إن المعدن ركاز ، ففيه الخمس (نيل الأوطار : ١٤٧/٤) .

المبتاع ، وقضى أن الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، وقضى بالشفعة بين الشركاء في الأرضين والدور ، وقضى لحَمْل بن مالك الهذلي بميراثه عن امرأته التي قتلتها الأخرى ، وقضى في الجنين المقتول بغُرّة[1] : عبد أو أمة ، قال : فورثها بعلها وبنوها ، قال : وكان له من امرأتيه كلتيهما ولد ، قال : فقال أبو القاتلة المقضي عليه :

يا رسول الله ، كيف أغرم من لا صاح ولا استهل ، ولا شرب ولا أكل ، فمثل ذلك بطل[2] .

فقال رسول الله ﷺ : هذا من الكهان .

قال : وقضى في الرَّحْبة تكون بين الطريق ، ثم يريد أهلها البنيان فيها ، فقضى أن يترك للطريق فيها سبع أذرع . قال : وكانت تلك الطريق سمي الميتاء .

وقضى في النخلة أو النخلتين أو الثلاث ، فيختلفون في حقوق ذلك ، فقضى أن لكل نخلة من أولئك مبلغ جريدتها حيز لها .

---

(١) الغرة : دية الجنين ، وتقدر بخمسين ديناراً أو خمسمائة درهم .

(٢) بطل اي أهدر ، وفي رواية « يطل » اي يهدر ، والاستهلال: رفع الصوت ، يريد انه لم تعرف حياته بصوت أو نطق أو بكاء .

وقضى في شِرب النخل من السيل أن الأعلى يشرب قبل الأسفل ، ويترك الماء إلى الكعبين ، ثم يرسل الماء إلى الأسفل الذي يليه ، فكذلك ينقضي حوائط[1] ، ويفنى الماء .

وقضى أن المرأة لا تعطي من مالها شيئاً إلا بإذن زوجها .

وقضى للجدتين من الميراث بالسدس بينهما بالسواء .

وقضى أن من أعتق شِرْكاً في مملوك ، فعليه جواز عتقه إن كان له مال .

وقضى أن لا ضرر ولا ضرار .

وقضى أنه ليس لِعرْق ظالمٍ حق[2] .

وقضى بين أهل المدينة في النخل لا يمنع نفع بئر .

وقضى بين أهل المدينة أنه لا يمنع فضل ماء ليمنع فضل الكلأ[3] .

---

(١) أي بساتين .

(٢) هذا نص حديث رواه أبو داود وباقي أصحاب السنن الأربع عن عروة بن الزبير . ومعناه : كل ما بني او زرع ، او غرس او احتفر في أرض غيره بغير حق ولا شبهة .

(٣) أي يحرم منع المياه المجتمعة من الأمطار ، ولو كان في أرض مملوكة ، إذا كان ذلك زائداً عن حاجة صاحب الأرض ، فيجب عليه بذله لما فضل عن سقاية أرضه وماشيته ، وللغير دخول أرضه .

وقضى في دية الكبرى المغلظة ثلاثين ابنة لبون[1] ، وثلاثين حِقّة[2] ، وأربعين خَلِفَة[3] .

وقضى في دية الصغرى ثلاثين ابنة لبون ، وثلاثين حقة ، وعشرين ابنة مخاض ، وعشرين بني مخاض[4] ذكور .

ثم غلت الإبل بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وهانت الدراهم ، فقوَّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إبل المدينة ستة آلاف درهم ، حساب أوقية لكل بعير . ثم غلت الإبل ، وهانت الوَرِق[5] ، فزاد عمر بن الخطاب ألفين حساب أوقيتين لكل بعير .

ثم غلت الإبل وهانت الدراهم ، فأتمها عمر اثني عشر ألفاً حساب ثلاث أواق لكل بعير .

---

(١) ابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة . والأنثى ابنة لبون ، لأن امه وضعت غيره ، فصار لها لبن .

(٢) الحق بكسر الحاء : ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين ، وقد دخل في الرابعة ، والأنثى حقة وحق ، سمي بذلك لاستحقاقه أن يحمل عليه وينتفع به .

(٣) الخلفة : بوزن نكرة ، الناقة الحامل .

(٤) ابن المخاض : الفصيل من النوق إذا استكمل الحول ودخل في الثانية ، والأنثى : ابنة مخاض ، لأنه فصل عن امه ، والحقت امه بالمخاض ، أي الحوامل من النوق ، سواء لقحت أو لم تلقح .

(٥) الورق : الدراهم المضروبة من الفضة .

قال : فزاد ثلث الدية في الشهر الحرام ، وثلث آخر في البلد الحرام ، فتمت دية الحرمين عشرين ألفاً .

قال : فكان يقال : يؤخذ من أهل البادية من ماشيتهم لا يكلفون الورق ولا الذهب . ويؤخذ من كل قوم مالهم قيمة العِدْل[1] من أموالهم[2] .

٤ ـ السفير القدير والفصيح المتكلم :

حينما حاصر المسلمون حصن بابليون لفتح مصر ، وكان به جماعة من الروم ، وأكابر القِبْط ورؤسائهم ، وعليهم المقوقس ـ حاكم مصر ـ قاتلوهم بها شهراً[3] . فلما رأى القوم الجِدّ منهم على فتحه ، والحرص ، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه ، خافوا أن يظهروا عليهم ، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القِبْط ، وخرجوا من باب القصر القبلي ، وتركوا به جماعة

---

(١) العدل : أي النظير والمثيل .

(٢) قال الهيثمي : روى ابن ماجه طرفاً منه ـ رواه عبد الله ابن أحمد ، وإسحاق لم يدرك عبادة .

(٣) انظر موضوع هذا البحث في فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وحسن المحاضرة : ١/١٠٩ ـ ١١٤ ، النجوم الزاهرة : ١/١٠ـ١٢، الفتوحات الإسلامية لدحلان : ١/٧٠ ـ ٧١،تاريخ الاسلام السياسي: ١/٢٣٦ ـ ٢٣٨ .

يقاتلون العرب ، فلحقوا بالجزيرة [1] ، وأمروا بقطع الجسر ، وذلك في جرْي النيل ، وبقي في الحصن أمير الحصن الذي يقال له « الأعيرج » من قبل المقوقس . فلما خاف فتح الحصن ، ركب هو وأهل القوة والشرف ، وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ، ثم لحقوا المقوقس في الجزيرة .

فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص ـ قائد الجيش الإسلامي ـ الرسالة التالية :

إنذارمصري وطلب المفاوضة :

« إنكم قد ولجتم في بلادنا ، وألححتم على قتالنا ، وطال مقامكم في أرضنا، وإنما أنتم عُصْبَةٌ يسيرة، وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ، ومعهم من العُدّة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى في أيدينا ، فأرسلوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم ، فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبّون ونحب ، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم ، فلا ينفعنا الكلام ، ولا يقدر عليه . ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لمطلبكم ورجائكم ، فابعثوا إلينا رجالاً من أصحابكم، نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء» .

---

(1) موضع صناعة السفن الحربية .

حبس الرسل لرؤية حال المسلمين :

فلما أتت عمرو بن العاص رسلُ المقوقس ، حبسهم عنده يومين وليلتين ، حتى خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ، ويستحلون ذلك في دينهم !

وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين .

إنذار إسلامي مماثل :

فرد عليهم عمرو مع رسلهم : إنه ليس بيني وبينك إلا إحدى خصال ثلاث :

ـ إما أن دخلتم في الإسلام ، فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا .

ـ وإن أبيتم أعطيتم الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون .

ـ وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

وصف حال المسلمين للمقوقس :

فلما جاءت رسل المقوقس إليه ، قال : كيف رأيتموهم

قالوا : رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نَهْمَة ، وإنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على رُكبهم ، وأميرهم كواحدٍ منهم ،

ما يعرَفُ رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد فيهم من العبـد : وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون اطرافهم بالماء ، ويتخشعون في صلاتهم .

اثر هذا الوصف في تحقيق غاية المسلمين :

فقال عند ذلك المقوقس : والذي يُحْلَف بـه ، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم ، وهم محصورون بهذا النيل ، لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتْهم الأرض ، وقَوَوْا على الخروج من موضعهم .

فردَّ إليهم المقوقس رسله ، وقال : ابعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم ، ونتداعى نحن وهم إلى ما عسى أن يكون فيه صلاح لنا ولكم .

سفارة عبادة :

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفـر ، وأحدهم عبـادة بن الصامت ، وهو أحد من أدرك الإسلام من العرب ، وطوله عشرة أشبار ، وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم ، وألا يجيبهم إلى شيء دعوه إلا إحدى هذه الثلاث الخصال[1] ؛ فإن أمير المؤمنين

---

(١) وهي التي تقدمت : وهي الإسلام ، او الجزية ، او القتال .

قد تقدم في ذلك إليّ ، وأمرني ألاّ أقبل شيئاً سوى خصلة من هذه الثلاث الخصال .

وكان عبادة بن الصامت أسود ، فلما ركبـوا السفن إلى المقوقس ، ودخلوا عليه ، تقدم عبادة ، فهابه المقوقس لسواده ، فقال : نحّوا عني هذا الأسود[1] ، وقدموا غيره يكلمني . فقالوا : إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً ، وهو سيدنا وخيرنا ، والمقدّم علينا ، وإنا نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه ، وقد أمّره الأمير دوننا بما أمره به ، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله .

نبذ التفرقة العنصرية :

فقال المقوقس للوفد : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ، وإنما ينبغي أن يكون دونكم ؟

قالوا : كلا ! إنه وإن كان أسود كما ترى ، فإنه من أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً ، وليس ينكر السواد فينا .

فقال المقوقس لعبادة : تقدم يا أسود وكلمني برفق ، فإني أهاب سوادك ، وإن اشتد علي كلامك ، ازددت لك هيبة .

فتقدم إليه عبادة ، فقال :

---

(١) الواقع أن عبادة كان جميلاً كما عرفنا في هيئته ، وأما سواده فهو عن عروبته ، ولا يعد ذلك بين العرب قبحاً . وأما عند الروم الشقر فالسواد غريب فيهم .

الاشادة بالعرب :

قد سمعت مقالتك ، وإن فيمن خلَّفت مـن أصحابي ألف رجل أسود كلهم مثلي ، وأشد سواداً مني وأفظع منظراً ، ولو رأيتهم لكُنتَ أهيب لهم مني ، وأنا قد ولّيت ، وأدبر شبابي ، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً ، وكذلك أصحابي •

غاية المسلمين السامية من الفتح :

وذلك إنما رغبتُنا وبغيتنا الجهاد في سبيل الله تعالى ، واتباع رضوان الله ، وليس غزونا عدوّنا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا ، ولا طلباً للاستكثار منها ؛ إلا أن الله عز وجل قد أحلّ ذلك لنا ، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً ، وما يبالي أحدنـا : أكان لـه قنطار من ذهب ، أم كان لا يملك إلا درهماً ! لأن غاية أحدنـا من الدنيا أكلة يأكلها ، يسد بها جَوْعَته ، وَشمْلة يلتحفها ، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطـار من ذهب أنفقـه في طاعة الله تعالى ، واقتصر على هذا الذي بيده ؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء في الآخرة ، وبذلك أمرنا ربنا ، وأمرنا به نبينـا ، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا فيما يُمْسك جَوْعته ، ويستر عورته ، وتكون همته وشغله في رضا ربه ، وجهاد عدوه •

ارتفاع قدر عبادة في نظر المقوقس :

فلما سمع المقوقس ذلك منه ، قال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ! لقد هِبتُ منظره ؛ وإن قوله لأهيب عندي من منظره ، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض ، وما أظن ملكهم إلا سيغلِبُ على الأرض كلها .

محاولة المقوقس مساومة عبادة وتهديده :

ثم أقبل المقوقس على عبادة فقال : أيها الرجل ، قد سمعت مقالتك ، وما ذكرتَ عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بماذكرتَ ، ولا ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبِّهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مما لا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل . وإنا لنعلم أنكم لن تقوَوا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلّتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً ، وأنتم في ضيق وشدة في معاشكم وحالكم ، ونحن نرِقُّ عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكلِ رجل منكم دينارين دينارين ، ولأميركم مائة دينار ، ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم مالاقوّة لكم به .

رفض التهديد :

فقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : يا هذا ؛ لا تغرّنّ نفسك ولا أصحابك . أما ما تخوّفنا به من جَمْع الروم وعددهم وكثرتهم ، وأنّا لا نقوى عليهم ، فلَعمْري ما هذا الذي تخوفنا به ، ولا بالذي يكْسِرنا عما نحن فيه . إن كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم ، وأشد لحرصنا عليهم ؛ لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه ، وإن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجَنّته ، وما من شيء أقرّ لأعيننا ، ولا أحب إلينا من ذلك ، وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين .

تحقيق إحدى الحسنيين :

إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظَفِرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا ، وإن الله تعالى قال لنا في كتابه : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين »[1] .

طلب الشهادة :

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساء : أن يرزقه الشهادة ، وألا يرد إلى بلده ، ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا همّ فيما خلّفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ؛ وإنما همنا ما أمامنا .

---

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة .

غنى النفس والقناعة :

وأما قولك : إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا ، فنحن في أوسع السّعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا لأنفسنا منها أكثر مما نحن فيه . فانظر الذي تريد ، فبيّنه لنا ، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم ، ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث ، فاختر أيها شئت ، ولا تطمع نفسك في الباطل ؛ بذلك أمرني الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ؛ وهو عهد رسول الله ﷺ من قبلُ إلينا .

الترغيب في الإسلام :

أما إن أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره ، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته ، أمرنا الله أن نقاتل مَنْ خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله ، فإن قبلتَ ذلك أنت وأصحابك، فقد سعِدْتم في الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم، ولم نستحلّ أذاكم ولا التعرض لكم .

طلب الجزية :

وإن أبيتم إلا الجزية ، فأدّوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم ، إذ كنتم في ذمتنا ، وكان لكم به عهد الله علينا .

الاضطرار إلى القتال :

وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم •

هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم •

رفض كل المطالب :

فقال المقوقس : هذا مما لا يكون أبداً ، ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيداً ما كانت الدنيا •

الاصرار على الخصال :

فقال له عبادة : هو ذاك ، فاختر ما شئت •

فقال المقوقس : أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاث ؟

فرفع عبادة يديه ، وقال : لا ، ورب السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء ، ما لكم عندنا خصلة غيرها ، فاختاروا لأنفسكم •

مداولة المقوقس مع اصحابه :

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه وقال : قد فرغ القول مما ترون؟ فقالوا : أويرضى أحد بهذا الذل؟! أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم ،فهذا لا يكون أبداً ، ولا نترك دين المسيح

ابن مريم ، وندخل في دين لا نعرفه ، وأما ما أرادوا من أن يسبُونا ويجعلونا عبيداً أبداً ، فالموت أيسر من ذلك ؛ لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مراراً ، كان أهون علينا .

الجواب النهائي :

فقال المقوقس لعبادة : قد أبى القوم ، فما ترى ؟ فراجع صاحبك ، على أن نعطيكم في مَرّتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون.

فقام عبادة وأصحابه .

نصيحة المقوقس لأصحابه :

فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك : أطيعوني ، وأجيبوا القوم إلى خصلة واحدة من هذه الثلاث ، فوالله مالكم بهم طاقة ! وإن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم منها كارهين.

فقالوا : أي خصلة نجيبهم إليها ؟ قال : إذاً أخبركم .. أما دخولكم في غير دينكم ، فلا آمركم به ؛ وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقدروا عليهم ، ولن تصبروا صبرهم ، ولا بد من الثالثة .

قالوا : فنكون لهم عبيداً أبداً ؟ قال : نعم تكونون عبيداً مسلطين في بلادكم ، آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم ، خير لكم من أن تموتوا عن آخركم ، وتكونوا عبيداً ، وتباعوا وتمزقوا في البلاد مستعبَدين أبداً ، أنتم وأهلوكم وذراريكم .

قالوا : فالموت أهون علينا • وأمـروا بقطع الجسر مـن الفسطاط والجـزيرة ، وبالقَصْر من جمـع الروم والقبْـط : جمعٌ كثيرٌ •

استئناف القتال وانتصار المسلمين :

فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم ، وأمكن الله منهم، فقتل منهم خلق كثير ، وأسر من أسر منهم، وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة •

وبه يتبين أن فتح مصر كان عنوة أي قهراً وهو الراجح •

ثم طلب المقوقس وأصحابه عقد صلحمع المسلمين ، فتـم الصلح على فرض جزية دينارين على جميع من بمصـر أعلاهـا وأسفلها •

وهذا الصلح لا مانع منه بعد الفتح القهري ، كما فعل بأهل العراق ، فهي فتحت عنوة سنة ٢٠ هـ ، ولـكنها عوملت معامـلة الصلح ، فأقرت الأرض بيد أهلها ووضع على أرضهم الخـراج وعلى أشخاصهم الجزية[١] •

• • •

---

(١) انظر كتابنا آثار الحرب : ص ٦٠٠ ـ ٦٠٦ ، ط ثانية

تعقيب :

هذه سفارة من أهم السفارات في التاريخ السياسي الإسلامي، كان عبادةمن أنجح السفراء فيها ، حتى إن أكثر علماء مصر قالوا : إن مصر فتحت صلحاً ، وإن الأمر لم يتم إلا بما جرى بين عبادة بن الصامت وبين المقوقس[١]. والسبب في نجاحه الباهر أنه تجمعت لديه كل خصائص وصفات السفراء الجسمية والخلقية والثقافية[٢] . فقد عرفنا أنه كان طويلاً جسيماً جميلاً فصيحاً متكلماً . وكان نافذ الرأي حصيف العقل سريع البداهة نابه الشأن ، قوي الشخصية ، جوال الفكر عميق النظرة ، منضبط النفس ، متزن الجواب ، كثير الحلم ، كاظم الغيظ ؛ بالرغم من الاستفزازات الشخصية والنفسية والجماعيةالتيقابله بها المقوقس.

وكان واسع المعرفة والثقافة والفكرة عن الاسلام ومبادئه وأحكامه ، ومتمثلاً لروحه وقيمه ومعانيه وأهدافه العامة ، مع التزامه الدقيقبالتعليمات المعطاة له من أميره الخاص والعام. ولقد خلدت لنا هذه السفارة من عبادة بن الصامت كثيراً من القيم الهامة والمبادىء الرائعة للاسلام في فتوحاته ومنهجه ، وتخطيطه

---

(١) النجوم الزاهرة : ١٩/١ .

(٢) انظر الرسل والسفراء عند العرب للدكتور صلاح الدين المنجد مع رسل الملوك لابن الفراء : ص ١١٣ .

الحربي ورغبته في السلام الحقيقي القائم على العهد المعبر عنه بالتزام مالي يدل على الإخلاص في الولاء . أما الجهاد فهو من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ، وليس رغبة في الغنائم ، لأن المسلم زاهد في الدنيا .

كما دلتنا هذه السفارة على مقومات الجندي المسلم والقائد المسلم المتمثلة بالصبر والحزم والعزم ، والجرأة والشجاعة الفائقة ، والإيمان العميق والعقيدة الراسخة التي لا تعرف التردد والتقهقر ، ولا تقبل أنصاف الحلول .

ألا إن عبادة في هذه السفارة دل على أنه يتمتع بأرفع صفات القائد الحربي ، وأجلى مقومات الشخص العبقري العميق الفكر ، الصادق الاسلام ، السياسي المحنك .



الفصل الرابع

جهاده في سبيل الله والحق

أولاً ـ عبادة داعية الإسلام :

إن أسمى غاية المسلم في حياته هي نشـر الاسلام والدعوة إلى الله تعالى ، لما في ذلك من مصلحة للإنسانية كلها ، مما يدل على حب المسلم للناس جميعاً ، وفي نشر الإسلام تحقيق أصول الخير والحق والعدل والرحمة والمساواة والحرية . ولقد كان المسلمون الأولون خير دعاة الإسلام ، أخلصوا النية والعمل لله ، وجعلوا أنفسهم فداءً في سبيل الله ، ولم تكن غاية أحدهم تحقيق نفـع دنيوي ، وإنما الغاية اتباع رضوان الله عز وجل : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمْر النعم »[1] أو « لأن يهدي الله على يـديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»[2].

---

(١) اخرجه البخاري عن سهل بن سعد . وحمر النعـم أي احسنها واغلاها ، والنعم : الإبل والبقر والغنم ، وإذا اطلق يراد به الإبل وحدها (صحيح البخاري : ١٢٣/٤) .

(٢) رواه الطبراني عن ابي رافع ، وهو حديث حسن (الجامع الصغير والفتح الكبير) .

ولقد كان عبادة أحد أولئك الذين بايعوا الرسول ﷺ ليلة العقبة ، ثم قدموا إلى المدينة فنشروا الإسلام فيها ، حتى إنه لم يبق بيت من بيوت المدينة إلا وفيه ذكر من رسول الله ، وقد بينا وصفهم في بحث بداية إسلام عبادة : « فاستجابوا لله ولرسوله ، فأسرعوا وآمنوا وصدقوا وآووا ونصروا وواسَوا ، **وكانوا والله أطول الناس ألسنة ، وأحدهم سيوفاً » (١) .**

وتابع عبادة مهمته في نشر الإسلام في الشام وفلسطين ومصر، فلم يكن حرصه على جهاد العدو أقل من حرصه على تبليغ الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ؛ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين »(٢) .

ثانياً ـ كاتب الوحي ومعلم القرآن وجامعه :

كان النبي ﷺ ـ كما هو معروف ـ أمياً لا يقرأ ولا يكتب « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم » (٣) ، « الذين يتبعون

---

(١) طبقات ابن سعد : ٢١٧/١ .

(٢) الآية ١٢٥ من سورة النحل .

(٣) الآية ٢ من سورة الجمعة .

الرسول النبي الأمي »[1] ، « فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »[2] .

وبسبب أميته عليه الصلاة والسلام ، وتأثره بوطأة الوحي ، وحرصاً منه على الحفاظ على القرآن الكريم ، اتخذ كتّاباً للوحي، فقد دعا رسول الله ﷺ الكتاب من صحابته للمثول بين يديه لكتابة الوحي . وبلغ عدد كتاب الوحي أربعين صحابياً ، منهم عبادة بن الصامت ، والخلفاء الأربعة ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو الدرداء ، وغيرهم[3]

وكان عبادة ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، روى البخاري وابن سعد في ترجمته من طريق محمد بن كعب القرظي أنه ممن جمع القرآن في عهد النبي ﷺ[4] .

وكان الذين جمعوا القرآن في زمن النبي ﷺ خمسة من

---

(١) الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

(٣) الوزراء والكتاب ، الجَهشياري : ص ١٢ وما بعدها .

(٤) الإصابة : ٢٦٩/٢ ، مشاهير علماء الأمصار : ص ١٥٩ ، تهذيب ابن عساكر : ٢١٠/٧ ، الإتقان للسيوطي : ٧٢/١ ، تهذيب الأسماء : ١١٢/٥ .

الأنصار : معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبي بن كعب ، وأبو أيوب ، وأبو الدرداء[1] .

وتولى عبادة تعليم القرآن أيضاً في عهد النبي ﷺ ومابعده، فكان يعلم أهل الصفة القرآن في زمن النبي ﷺ[2] .

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب : « قد احتاج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم » فأرسل عمر معاذ بن جبل وعبادة وأبا الدرداء ، فأقام عبادة بحمص ، ثم انتقل إلى فلسطين ، فمات بها . وأقام أبو الدرداء بدمشق ، ومات معاذ في فلسطين عام طاعون عَمَواس[3] .

وقد اهتم عبادة بدراسة القرآن واستنباط الأحكام الفقهية منه ، كما اهتم أيضاً بتفسيره ، كما سنبين في الفصل الخامس ، فروى لنا الحديث المتواتر : « أنزل هذا القرآن على سبعة

---

(١) أسد الغابة : ١٠٦/٣ ، حياة الصحابة : ٦٩٤/٣ ، الطبقات الكبرى : ٣٥٦/٢ .

(٢) أسد الغابة ، المرجع والمكان السابق ، تهذيب الأسماء : ٢٥٧/١ .

(٣) الإصابة : ٢٦٩/٢ ، تهذيب الأسماء : ٢٥٧/١ ، حياة الصحابة : ٧٤٩/٣ ، مشاهير علماء الأمصار ، المكان السابق ، تهذيب ابن عساكر : ٢١٠/٧ .

أحرف »[1] وروى أيضاً : « ما من أمير عشرة إلا جيء به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يطلقه الحق ، أو يوبقه ، ومن تعلم القرآن ثم نسيه ، لقي الله وهو أجـذم »[2] .

ثالثاً ـ أحد النقباء ليلة العقبة :

عبادة أحد النقباء الاثني عشر الذين بايعوا رسول الله ﷺ في بيعة العَقَبة [3] الأولى ، وشهد العَقَبة الثانيـة مـع الثلاثة والسبعين من الأنصار[4] . أما اشتراكه في بيعة العقبة الأولى مع اثني عشر رجلاً من الأنصار : عشرة من الخزرج ، ومن الأوس رجلان ، فكان له أهمية كبرى ، إذ أنه تحمل وثيقة هـذه البيعة

---

(١) نظم المتناثر في الحديث المتواتر للكتاني : ص١١١ . والمراد من الأحرف السبعة : الأوجه السبعة التي وسع بها على الأمة ، كالاختلاف في وجوه الإعراب ، والحروف ، والإفـراد والتثنيـة والجمع ، والتقديم والتأخير ، واللهجات « راجع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١/٤٥ وما بعدها مقدمة روح المعاني : ١/٢٧ » .

(٢) مسند أحمد : ٥/٣٢٣ ، ٣٢٧ .

(٣) عقبـة : بالتحريك ، الطريق الصاعد في الجبل ، وهو ـ أيضاً ـ الجبل الطويل يعرض للطريق ، فيأخذ فيه ، وهو طويل صعب إلى صعود الجبل (معجم البلدان : ٤/١٣٤) .

(٤) مسند أحمد : ٥/٣٢٦ ، طبقات ابن سعد : ٣/٥٤٦ ، ٦٢١ ، ٧/٣٨٧ .

المعروفة ببيعـــة النساء ، وهي تمثل أهم أصول ودعائم الإسلام السلمية ، كما تمثل ببيعة للعقبة الثانية أهم أصول الإسلام الحربية والدفاعية ، ومن أهمها معاهدة الدفاع المشترك بحق ضد الأعداء.

العقبة الأولى :

قال عبادة : كنت ممن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض الحرب ، على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب ، وإن شاء غفر[1] .

وقد بين لنا المحدثون كيفية بيعة النساء ، أخرج مسلم عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : « كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يُمتَحنَّ بقول الله عز وجل : يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله

---

(١) طبقات ابن سعد : ٥٤٦/٣ ، ٦٢١ ، ٣٨٧/٧ ، الإصابة : ٢٦٨/٢ ، أسد الغابة : ١٠٦/٣ ، شذرات الذهب : ٤٠/١ ، سير أعلام النبلاء : ص ٢١٩ ، مشاهير علماء الأمصار : ص ١٥٩ ، تهذيب التهذيب : ١١١/٥ ، المعارف : ص ٢٥٥ ، جوامع السيرة : ص ٧١، سيرة ابن هشام : ٤٤٤/٢ ، البداية والنهاية : ١٦٢/٣ ، حسن المحاضرة : ٢١١/١ ، تهذيب ابن عساكر : ٢٠٦/٧ ــ ٢٠٨ .

شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين .. إلى آخر الآية[1] . قالت عائشة : فمن أقر بهذا من المؤمنات ، فقد أقر بالمِحْنة ، وكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن ، قال لهن رسول الله ﷺ : انطلقن فقد بايعتُكُنّ ، ولا والله ما مسّتْ يد رسول الله ﷺ امرأة قط ، غير أنه يبايعهن بالكلام . قالت عائشة : والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمره الله تعالى ، وما مسّتْ كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط ، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن : قد بايعتكن ، كلاماً »[2] .

وكتبت الأوس والخزرج إلى رسول الله ﷺ : ابعث إلينا مقرئاً يقرئنا القرآن ، فبعث إليهم مصعب بن عمير العَبْدري ، فنزل على أسعد بن زُرارة ، فكان يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى « المقرىء » بالمدينة .

---

(١) الآية ١٣ من سورة الممتحنة .

(٢) شرح مسلم للنووي: ١٣/ ١٠ ، البداية والنهاية: ٣/ ١٥٠، سيرة ابن هشام . قسم أول ٤٣٣ ، طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٠ ، مسند أحمد : ٥/٣١٣ ، حياة الصحابة : ١/٣٦٩ ، وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به نحوه .

وكان يصلي الجمعة بهم . وقد صلى أول جمعة في المدينة بأربعين رجلاً : أسعد بن زرارة [1] .

والحقيقة : أن مصعب بن عمير هو أول من أمَّ الناس بالجمعة في المدينة ، وكان أسعد بن زرارة هو الذي جمع الناس ، وكان مصعب يسمى المقرىء ، لأنه يقرىء الناس ويعلمهم القرآن ، فأسعد دعاهم ، ومصعب صلى بهم .

العقبة الثانية :

وفي العام المقبل أي في السنة الثانية عشرة من البعثة ، وافى مصعب الموسم مع ثلاثة وسبعين رجلاً ، وامرأتين من نسائهم ، وتمت معهم بيعة العقبة الثانية أو الآخرة . أما المرأتان : فهما أم عـمارة نُسَيبة بنت كعب بن عمرو ، وأسماء بنت عمرو بن عدي .

قال عبادة بن الصامت[2] : لما حضر موسم الحج ، مشى أصحاب رسول الله ﷺ ، الذيـن أسلموا بعضهم إلى بعض ، يتواعدون المسير إلى الحج وموافاة رسول الله ﷺ ، والإسلام يومئذ فاشٍ بالمدينة ، فخرجوا وهم سبعون ، يزيدون رجلاً أو

---

(1) سيرة ابن هشام : قسم أول / ٤٣٤ وما بعدها ، طبقات ابن سعد : ١/٢٢١ ، البداية والنهاية : ٣/١٥١ .

(2) طبقات ابن سعد : ١/٢٢١ وما بعدها ، البداية والنهاية : ٣/١٥٨ ، سيرة ابن هشام . قسم أول / ٤٣٨ .

رجلين ، في خَمَرٍ[1] الأوس والخزرج ، وهم خمسمائة ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فسلموا على رسول الله ﷺ ، ثم وعدهم « مِنى » وسط أيام التشريق ليلة النَّفْر الأول إذا هدأت الرِّجْل أن يوافوه في الشِّعْب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة ، حيث المسجد اليوم .

وأمرهم أن لا ينبهوا نائماً ، ولا ينتظروا غائباً .

قال عبادة : فخرج القوم بعد هدأة يتسللون : الرجل والرجلان ، وقد سبقهم رسول الله ﷺ إلى ذلك الموضع ، معه العباس بن عبد المطلب ، ليس معه أحد غيره .

ثم توافى ثلاثة وسبعون ومعهم امرأتان .

توثُّق العباس للنبي ﷺ :

فكان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب ــ عم النبي ــ فقال : يا معشر الخزرج ، إنكم قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه ، ومحمد من أعز الناس في عشيرته ، يمنعه والله منا من كان على قوله ، ومن لم يكن منا على قوله يمنعه للحسب والشرف ، وقد أبى محمد الناسَ كلهم غيركم ، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب ، واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة ، فأتوا رأيكم وائتمروا بينكم ، ولا تفترقوا إلا عن ملأ منكم واجتماع ؛ فإن أحسن الحديث أصدقه .

---

(١) الخمر : جماعة الناس وزحمتهم .

رد البراء :

فقال البَرَاء بن مَعْرور[1] : قد سمعنا ما قلت ، وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما تنطق به ، لقلناه ، ولكنا نريد الوفاء والصدق ، وبذل مُهَج أنفسنا دون رسول الله ﷺ .

قال عبادة : وتلا رسول الله ﷺ عليهم القرآن [2]، ثم دعاهم إلى الله ، ورغبهم في الإسلام ، وذكر الذي اجتمعوا له .

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار[3] :

قال النبي ﷺ : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فقالوا : يا رسول الله نبايعك . قال : « تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله ، لا تخافوا في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم ، وأزواجكم، وأبناءكم ، ولكم الجنة » .

---

(١) الكامل في التاريخ : ٩٩/٢ ، حياة الصحابة : ١٤٩/١ .

(٢) قرأ رسول الله ﷺ سورة إبراهيم : « وإذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا البلد آمناً » إلى آخر السورة . فرقّ القوم وأخبتوا حين سمعوا وأجابوه (حياة الصحابة : ١٤٩/١) .

(٣) سيرة ابن هشام : قسم أول / ٤٤٢ ، البداية والنهاية : ١٥٩/٣ ، زاد المعاد : ٥١/٢ ، مجموعة الوثائق السياسية : ص ٧ .

موقف اسعد بن زرارة :

فقام إليه الأنصار ، وأخذ بيده أسعد بن زرارة ـ وهو أصغر الثلاثة والسبعين ـ فقال : رويداً يا أهل يثرب ، فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل ، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة ، وقتل خياركم ، وتعضكم السيوف . فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه ، فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله[1] .

تحقيق البيعة :

فأجابه البراء بن معرور بالإيمان والتصديق . ثم قال : يا رسول الله بايعنا ، وأخذ بيد الرسول عليه السلام ، وقال : نعم ، والذي بعثك بالحق نبياً ، لنمنعنَّك مما نمنع منه أزُرَنا[2]، فبايِعْنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحَلْقة[3] ، ورثناها كابراً عن كابر[4] .

---

(١) البداية والنهاية ، المكان السابق .

(٢) أزرنا : أي نساءنا ، والمرأة قد يكنى عنها بالإزار ، كما يكنى أيضاً بالإزار عن النفس .

(٣) الحلقة : أي السلاح .

(٤) سيرة ابن هشام : قسم أول / ٤٤٢ ، المعارف : ص ٢٥٥، حياة الصحابة : ٣٦١/١ .

وقال أبو الهيثم بن التَّيِّهَان : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حِبالاً ، وإنا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك ، أن ترجع إلى قومك وتدَعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال : بل الدم الدم ، والهَدْم الهَدْم[1] ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب مَنْ حاربتم ، وأسالم من سالمتم .

ثم بايعه البراء بن معرور ، أو أبو الهيثم بن التَّيِّهَان ، أو أسعد بن زرارة إذ اختلف أهل السيرة فيمن كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ [2] ، ثم ضرب السبعون كلهم على يده ـ عليه السلام ـ وبايعوه[3] .

تعيين النقباء على الأنصار :

إن عبادة أحد النقباء الاثني عشر كما بينا ، فما قصة هؤلاء النقباء ؟ قال رسول الله ﷺ : إن موسى أخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً ، فلا يجدن منكم أحد في نفسه أن يؤخذ غيره ،

---

(١) قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمي دمك ، وهدمي هدمك ، أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا . وقال ابن هشام : ويقال : الهَدَم الهَدَم : يعني الحرمة ، أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم .

(٢) سيرة ابن هشام . قسم أول / ٤٤٧ .

(٣) ابن سعد في طبقاته: ٢٢٢/١، الكامل في التاريخ: ٩٩/٢ .

فإنما يَخْتار لي جبريل ، فلما تخيرهم ، قال للنقباء : أنتم كُفَلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم . وأنا كفيل على قومي . قالوا ــ أي الأنصار ــ : نعم[1] .

وقال كعب بن مالك : قال رسول الله ﷺ : أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً[2] .

وهؤلاء النقباء ــ أي العرفاء والأسياد ــ هم تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .

أما نقباء الخزرج : فهم أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن رَوَاحة ، ورافع بن مالك ، والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حَرام (وهو سيد من ساداتهم وشريف من أشرافهم) ، وعبادة بن الصامت ، وسعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو بن خُنيس .

---

(١) طبقات ابن سعد : ٢٢٣/١ ، البداية والنهاية : ١٦١/٣ ، سيرة ابن هشام : قسم أول / ٤٤٣ .

(٢) اخرج الحديث ايضاً احمد والطبراني مطولاً ، كما في مجمع الزوائد : ٤٢/٦ ، قال الهيثمي : ٤٥/٦ : ورجال احمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع .

وقال ابن حجر : اخرجه ابن إسحاق وصححه ابن حبان من طريقه بطوله (حياة الصحابة : ٣٦٥/١) .

وأما نقباء الأوس : فهم أسَيد بن حُضَير ، وسعد بن خَيْثمة ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زُبَير[1] .

وكان عبادة كما بينا سابقاً نقيباً على القواقل من الخزرج .

اصداء البيعة :

لقد كان لهذه البيعة أثر كبير في التاريخ ، إذ إنها مهدت لهجرة النبي ﷺ وحطمت القيود المفروضة على دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام في مكة ، وكسر طوق العزلة من غطارفة قريش وأسيادها، وتبددت مخاوف الضعفاء الذين يريدون إعلان الإسلام، وتمهد الطريق أمام انتشار الإسلام في الجزيرة العربية وما جاورها، وحددت معالم إقامة دولة الإسلام في المدينة ، إذ إن هذه الوثيقة هي سجل البيعة لإقامة الحاكم بين الأتباع المواطنين ، وتهيأت ظروف تشريع الجهاد لحماية أهل الحق ، ففي البيعة الأولى لم يكن فيها إشارة إلى القتال ، وأما في البيعة الثانية فكان فيها التصريح البيّن بضرورة الجهاد للدفاع عن العقيدة وأهلها المستضعفين الذين صبروا على الأذى الشديد في مكة . قال عبادة ابن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب ، على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا ، وأن

---

(١) سيرة ابن هشام ، المكان السابق .

لا تنازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم[1] .

ولقد فهم هؤلاء الأنصار ــ المخلصون الخالدون ــ خطورة المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقهم ، وهي مجابهة العرب قاطبة ، بل الناس جميعاً ، بدليل ما قاله العباس بن عُبادة بن نَضْلة الأنصاري قبل المبايعة[2] ، محذراً الجميع ، وموضحاً أخطار المستقبل الرهيب :

« يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم تَرَوْن أنكم إذا نُهكت أموالكم مُصيبةً ، وأشرافكم قتلاً ، أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خِزْيُ الدنيا والآخرة ، وإن كنتم تَرَوْن أنكم وافُون له بما دَعوتموه إليه على نَهْكة[3] الأموال ، وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة

---

(١) البداية والنهاية : ٣/١٧٤ ، مسند احمد : ٥/٣١٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٦٢ ، سيرة ابن هشام : قسم أول / ٤٤٦ .

(٣) نهكة الأموال : نقصها .

الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله ، إن نحن وفينا بذلك ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه .

وفي رواية اليعقوبي :

« أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم . وعليهم أن يحاربوا معه الأسود والأحمر، وأن ينصروه على القريب والبعيد . وشرط لهم الوفاء بذلك والجنة » قالوا : « ابسط يدك » فبسط يده ، فبايعوه .

ومثل هذه البيعة مع هذه المخاطر وقلة المسلمين أصدق دليل على الإيمان والتضحية في سبيل الدين الجديد ، والتفاني إلى أبعد الحدود في سبيل الله تعالى .

استعجال المبايعين للإذن بالحرب :

واستعد الأنصار فوراً لتنفيذ البيعة ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل العقبة بأسيافهم ، فلم يأذن لهم ، وصرخ الشيطان على العقبة بأبعد صوت سُمع[1] :

---

(١) زاد المعاد : ٢/٥١ ، البداية والنهاية : ٣/١٦٤ ، سيرة ابن هشام : قسم أول / ٤٤٧ .

تنفير الشيطان لمن بايع :

« يا أهل الأخاشب ، هل لكم في محمد والصباة معه ، قد اجتمعوا على حربكم »؟!فقال رسول الله ﷺ : هذا إزْب[1] العقبة، أما والله ، يا عدو الله لأتفرغن لك . ثم أمر الرسول الأنصار أن ينفضوا إلى رحالهم .

غدو قريش على الأنصار في شأن البيعة :

وثارت ثائرة قريش من بيعة العقبة ، ودق جرس الخطر في ربوعهم ، وأحسوا بأنهم يواجهون قوة جديدة لم يحسب لها حساب . فلما أصبح قوم الأنصار ، غدت عليهم جلَّة قريش ، حتى جاؤوا إلى منازلهم ، ودخلوا شِعْب الأنصار ، فقالوا[2] :

« يامعشر الخزرج ! إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ، ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تَنْشِب الحرب بيننا وبينهم منكم » .

فانبعث مَنْ هناك من مشركي قومنا ، يحلفون بالله : ما كان من هذا شيء ، وما علمناه ، وصدقوا ما لم يعلموا ، وبعضنا ينظر

---

(١) الإزب : شيطان العقبة .

(٢) زاد المعاد : ٥١/٢ ، سيرة ابن هشام : قسم أول/٤٤٨ ، البداية والنهاية : ١٦٤/٣ .

إلى بعض ، أي ينظر المؤمنون نظرة تعجب وغبطة إلى بعضهم حيث لم يعلم بهم المشركون .

مطاردة الأنصار وأسر سعد بن عبادة :

ونفر الناس من مِنَى ، فتنطس القوم الخبر – أي أكثروا البحث عنه – فوجدوه قد كان . فخرجوا في طلب القوم – أي الأنصار – فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر [١] ، والمنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكلاهما كان نقيباً ، فأما المنذر فأعجز القومَ ، وأما سعد فأخذوه ، فربطوا يديه إلى عنقه بنِسْع[٢] رَحْله ، ثم أقبلوا به ، حتى أدخلوه مكة ، يضربونه ، ويجذبونه بجمّته[٣] ؛ وكان ذا شعر كثير .

والخلاصة : كان عبادة نقيباً عقبيّاً أنصارياً بايع رسول الله ﷺ على أن لا يخاف في الله لومة لائم [٤] ، وساهم في إنجاح مسعى الرسول ﷺ بكسر طوق العزلة ، وتطويق الشرك والوثنية ، وإقامة دولة الإسلام في المدينة ، واستقرار التشريع والوحي ، ومحاربة كل مظاهر العدوان ، وإعلاء كلمة التوحيد والحق والعدل .

---

(١) اذاخر : مكان دخول رسول الله ﷺ إلى مكة عام الفتح .

(٢) النسع : الشراك الذي يشد به الرحل .

(٣) الجمة : مجتمع شعر الراس ، وهي اكثر من الوفرة .

(٤) تهذيب ابن عساكر : ٢٠٨/٧ .

رابعاً ـ أحد أبطال معركة بدر والمشاهد كلها :

كان عبادة بدرياً ، أحد أبطال معركة بدر الكبرى التي حولت مجرى التاريخ ، وأعزت الإسلام وأذلت الكفر بقتل صناديد قريش وأسر كبرائهم ، مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم ،وفرقت بين الحق والباطل ، فسميت معركة الفرقان • والحديث عنها معروف ، وسمي كل من شهدها من المسلمين « بدرياً » وكانوا يعتزون بهذه التسمية ويفخرون •

وكان عبادة أيضاً أحدياً شهد موقعة أحد واعتبر بنتائجها ، كما شهد انتصار المسلمين في الخندق ، وسائر المشاهد والحروب مع رسول الله ﷺ •

وبالرغم من هذه المشاركة الإيجابية ، فإن عبادة امتاز بحضور العقبة وبدر • روى البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي ـ وكان من أهل بدر والعقبة ـ رضي الله عنه أنه كان يقول لابنه : ما يَسرني أني شهدت بدراً بالعقبة • وفي لفظ آخر قال : « جاء جبريل إلى النبي ﷺ ، فقال للنبي ﷺ : ما تعدُّون أهل بدرٍ فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ، وكذلك من شهد بدراً من الملائكة [1] » •

---

(١) جامع الأصول لابن الأثير : ١١٢/١٠ •

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اطلع الله على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[1] » .

وكان موقف الأنصار : عبادة وغيره هاماً وخطيراً وحساساً، إذ إنهم أكثرية المسلمين ، وإنهم حين بايعوا النبي ﷺ بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله ، إنا برآء من ذِمامك ، حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نَصْره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله ﷺ ، قال له سعد بن معاذ سيد الأوس كلمته الرائعة المشهورة في التاريخ :

« والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضْته ، لخضناه معك ، ماتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تَلْقى بنا عدونا غداً ، إنا لصُبُر في الحرب ، صُدُق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينُك، فسرْ على بركة الله » .

---

(١) المرجع والمكان السابق .

« فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ، ونشّطه ذلك . ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين (العير أو النفير) ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»[1] .

وكانت هذه بشارة النصر ، بسبب موقف الأنصار . ونجم عن هذه المعركة تفويض قسمة الغنائم للرسول ﷺ ، وكان عبادة ابن الصامت إذا سئل عن الأنفال قال : فينا معْشرَ أهل بدر نزلت سورة الأنفال[2] ، حين اختلفنا في النّفَل يوم بدر فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا ، فرده على رسول الله ﷺ ، فقسمه بيننا على السواء ، وكان في ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعة رسوله ﷺ ، وصلاح ذات البين[3] .

وقسمة التسوية :

دل عليها ما أخرجه أحمد[4] عن عبادة بن الصامت قال : صلى بنا رسول الله ﷺ في غزوة إلى بعير من المقسم ، فلما

---

(١) سيرة ابن هشام : قسم أول / ٦١٥ .

(٢) التي مطلعها : « يسألونك عن الأنفال ، قل : الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .

(٣) سيرة ابن هشام : قسم أول/٦٦٦ وما بعدها .

(٤) مسند أحمد ٥/٣١٦ .

سلم ، قام رسول الله ﷺ ، فتناول وَبَرة بين أنملتيه ، فقال : إن هذه من غنائمكم ، وإنه ليس لي فيها إلا نصيبي معكم ، إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخيط والمخيْط ، وأكبر من ذلك وأصغر ، ولا تغلّوا ، فإن الغلول[1] نار ، وعار على أصحابه في الدنيا والآخرة ، وجاهدوا الناس في الله تبارك وتعالى ؛ القريب والبعيد ، ولا تبالوا في الله لومة لائم ، وأقيموا حدود الله في الحضر والسفر ، وجاهدوا في سبيل الله ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم ينجي الله تبارك وتعالى به من الغم والهم .

خامساً ـ مشاركته في بيعة الرضوان :

شهد عبادة بيعة الرضوان ، كما شهد بدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد كما عرفنا[2] . وقد تمت بيعة الرضوان في السنة السادسة من الهجرة في ذي القعدة[3] قبيل صلح الحديبية،وذلك حينما بلغ النبي ﷺ أن عثمان بن عفان رسوله إلى قريش قد قتل ، بالرغم من أن مهمته كانت سلمية ، إذ بعثه النبي إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ، ومعظّماً لحرمته .

---

(١) الغلول : الخيانة .

(٢) تهذيب الأسماء : ١/٢٥٧ .

(٣) مرآة الجنان : ١/١١ .

فقال حينئذ النبي : لا نَبْرحُ حتى نُنَاجزَ القوم . ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة[1] . فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة[2] ، فبايعناه ، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سَمُرَة[3] . وقال : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر . وعبارة مسلم في صحيحه : بايعناه على أن لا نفر ، ولم نبايعه على الموت .

فكانت البيعة على عدم الفرار ، والثبات أمام المشركين ، فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلف عليه أحد من المسلمين، إلا الجَدّ بن قيس ، أخو بني سلمة ، استتر بناقته وكان منافقاً ،

---

(١) شرح مسلم : ٢/١٣ ، سيرة ابن هشام : قسم ثاني/٣١٥، تاريخ ابن الوردي : ١/١٩٢.

(٢) وفي رواية الفاً وخمسمائة ، وفي رواية الفاً وثلاثمائة . واكثر الروايات الف واربعمائة . عن قتادة قال : قلت لسعيد بن المسيب : كم كانوا في بيعة الرضوان ؟ قال : خمس عشرة مائة . قال : قلت : فإن جابر بن عبد الله قال : كانوا اربع عشرة مائة ، قال: اوَهِم رحمه الله ! هو الذي حدثني انهم كانوا خمس عشرة مائة (المعارف : ص ١٦٢) .

(٣) وهي شجرة بالحديبية عند بئر الحديبية .

وبايع ﷺ لعثمان في غيبته ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى . وكان أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان : أبو سنان الأسدي .

وكان يقال لمن حضرها : شجري .

وقد امتدح الله بيعة الرضوان وما فيها من الخير ، إذ كان لها أثر كبير في سياسة المسلمين العامة ، فقال سبحانه : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل الله السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً . ومغانمَ كثيرةً يأخذونها ، وكان الله عزيزاً حكيماً »[1] أي رضي الله عن المؤمنين الراسخين في الإيمان ، الكاملين في الإخلاص ، ورضاه عنهم بالفتح المبين (هو فتح خيبر) والتوفيق السديد والثواب الجزيل ، والمغانم الكثيرة في الدنيا من الحروب ، وأولها زروع وثمار خيبر .

ومما يفخر به أهل هذه البيعة ما شهد لهم به النبي ﷺ ، قال جابر : قال لنا النبي ﷺ : أنتم اليوم خير أهل الأرض[2] . وقال جابر أيضاً : « ليدخُلَنَّ الجنة من بايع تحت الشجرة ، إلا

---

(١) الآية ١٨ و ١٩ من سورة الفتح .

(٢) أخرجه مسلم (شرح مسلم : ٣/١٣) .

صاحب الجمل الأحمر »[1] ، وقال جابر أيضاً : قال رسول الله ﷺ : « اطّلع الله على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . ولا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة »[2] .

سادساً ـ امره بالمعروف ونهيه عن المنكر :

كان عبادة ـ كغيره من الطبقة الأولى من الصحابة الذين ثقفهم النبي ﷺ وبايعهم ليلة العقبة ـ صلباً في دينه كأمثال الجبال، فهو صريح ملتزم بأحكام الإسلام،ولا يداهن ولا يمالق، ولايحابي أحداً في شرعة الله ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، مهما كلفه من الثمن ، سواء أكان أمام حاكم أو خليفة أو زعيم أو مع واحد منهم ، دون أن يعرف ما يسمى اليوم بأنصاف الحلول ، ومرونة الفتيا وعدم التزمّت .

١ ـ إتلافه روايا الخمر :

روى البيهقي عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة عن أبيه ، قال : قَدِمت روايا[3] خمر ، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها ،

---

(١) أخرجه الترمذي . وصاحب الجمل : هو الجد بن قيس ، كان منافقاً يطلب جمله (جامع الأصول : ١١٣/١٠) .

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي (جامع الأصول : ١١٣/١٠) .

(٣) الروايا جمع راوية : وهي المزادة من ثلاثة جلود يوضع فيها الماء عادة .

وقال : إنا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم ، وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب ، مما نمنع به أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ، ولنا الجنة . فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها . قال ابن كثير : وهذا إسناد جيد قوي ، ولم يخرجوه[1] .

٢ ـ موقفه مع عمر وجَبَلَة :

ذكر المؤرخون أن جَبَلَة بن الأيهم أتى عمر بن الخطاب وهو على نصرانيته ، فعرض عمر عليه الإسلام ، وأداء الصدقة ، فأبى ذلك وقال : أقيم على ديني ، وأؤدي الصدقة .

فقال عمر : « إن أقمت على دينك فأدِّ الجزية » فأنف منها . فقال له عمر : « ما عندنا لك إلا واحدة من ثلاث : إما الإسلام ، وإما أداء الجزية ، وإما الذهاب إلى حيث شئت » فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً .

فلما بلغ ذلك عمر ندم ، وعاتبه عبادة بن الصامت ، فقال : « لو قبلت منه الصدقة ، ثم تألفته لأسلم »[2] .

---

(١) البداية والنهاية : ٣/١٦٣ .

(٢) فتوح البلدان ، البلاذري : ص ١٤٢ .

وهذا دليل رجحان العقل وحصافة الرأي واتزان الحكمة لدى عبادة ، وهو أيضاً من أهم ما اشتهر به عمر رضي الله عنهما •

٣ ـ مواقفه من معاوية :

قال ابن حجر في الإصابة [١] : ولعبادة قصص متعددة مع معاوية ، وإنكاره عليه أشياء ، وفي بعضها رجوع معاوية له ، وفي بعضها شكواه إلى عثمان منه ، تدل على قوته في دين الله ، وقيامه في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وجرأته في الحق التي لا تعرف التردد •

وأهم هذه القصص ما يأتي :

أ ـ حادثة تحريم التفاضل في بيوع الربا :

روى ابن ماجه عن عبادة بن الصامت الأنصاري النقيب صاحب رسول الله ﷺ ، أنه غزا مع معاوية أرض الروم ، فنظر إلى الناس ، وهم يتبايعون كِسَر [٢] الذهب بالدنانير ، وكسر الفضة بالدراهم ، فقال : يا أيها الناس ، إنكم تأكلون الربا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل،

---

(١) الإصابة : ٢/٢٦٩ •

(٢) كسر : مثل قطع لفظاً ومعنى •

لا زيادة بينهما ، ولا نَظِرة »[1] فقال له معاوية : يا أبا الوليد ، لا أرى الربا في هذا إلا ما كان من نَظِرة ، فقال عبادة : أحدثك عن رسول الله ﷺ ، وتحدثني عن رأيك ! لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك علي فيها إمرة . فلما قَفل لحق بالمدينة ، فقال له عمر بن الخطاب : ما أقدمك يا أبا الوليد ؟ فقص عليه القصة ، وما قال من مساكنته . فقال :

« ارجع يا أبا الوليد إلى ارضك ، فقبَّح الله ارضاً لست فيها وأمثالك » .

وكتب إلى معاوية : لا إمرة لك عليه ، واحمل الناس على ما قال ، فإنه هو الأمر [2] .

وروى الإمام أحمد هذه القصة بلفظ آخر ، قال : جمع المنزل بين عبادة بن الصامت وبين معاوية ، إما في كنيسة ، وإما في بِيعَة ، فقام عبادة فقال : نهانا رسول الله ﷺ عن الذهب بالذهب ، والوَرِق بالوَرِق[3] ، والتمر بالتمر ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، وقال أحدهما : والملح بالملح ، ولم يقله الآخر .

---

(١) نظرة : اي انتظار إلى أجل ، وهو ربا النسيئة أو الربا لأجَل في المستقبل ، وهو الشائع اليوم .

(٢) سنن ابن ماجه : ٨/١ ، الاستيعاب : ٨٠٨/٢ ، أسد الغابة : ١٠٦/٣ وما بعدها ، تهذيب ابن عساكر : ٢١١/٧ ومابعدها .

(٣) اي الفضة بالفضة .

وقال أحدهما : من زاد أو ازداد فقد أربى ، ولم يقله الآخر . وأمرنا أن نبيع الذهب بالفضة ، والفضة بالذهب ، والبر بالشعير والشعير بالبر ، يداً بيد ، كيف شئنا[1] .

وأصح رواية لهذه القصة : ما أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال[2] : قال رسول الله ﷺ : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبُرّ بالبُرّ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مِثْلاً بمثل ، سواء بسواء ، يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » .

وفي رواية أبي قِلاَبَة قال :

« كنت بالشام في حَلْقة فيها مسلم بن يسار ، فجاء أبو الأشعث[3] ، فقالوا : أبو الأشعث ، أبو الأشعث ، فجلس ، فقلت له : حدّث أخانا حديث عبادة بن الصامت ، فقال: نعم ؛ غزونا غَزَاة ، وعلى الناس معاوية ، فغنمنا غنائم كثيرة ، فكان فيما

---

(١) مسند أحمد : ٥/٣٢٠ .

(٢) جامع الأصول : ١/٤٦١ وما بعدها ، وهو حديث متواتر (نظم المتناثر : ص ١٠١) .

(٣) هو أبو الأشعث شراحيل بن آدة الصنعاني ، روى عن شداد بن أوس وثوبان وأوس الثقفي وعبادة بن الصامت وغيرهم رضي الله عنهم ، ذكره ابن حبان في الثقات .

غنمنا آنية من فضة ، فأمر معاوية رجلاً أن يبيعها في أعْطِيات الناس ، فتسارع الناس في ذلك فبلغ عبادة بن الصامت ، فقام وقال :

إني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، إلا سواء بسواء ، عيناً بعين ، فمن زاد أو ازداد فقد أربى [1] . فرد الناس ما أخذوا ، فبلغ ذلك معاوية ، فقام خطيباً فقال :

« ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث ، قد كنا نشهدُه ونصحبُه،فلم نسمعها منه » فقام عبادة بن الصامت، فأعاد القصة ، وقال : « لنحدِّثَنَّ بما سمعنا من رسول الله ﷺ ، وإن كَرِه معاوية ، أو قال : وإن رَغِمَ ، ما أبالي ألا أصحبه في جُنده ليلةً سوداء » هذه رواية مسلم .

وما رواه عبادة من تحريم نوعي الربا : ربا الفضل (الزيادة) وربا النسيئة (الأجل) أو ربا المصارف اليوم ، هو الأصح الذي أخذ به المسلمون .

---

(١) وهذا الحديث أصل في تحريم ربا الفضل وربا النسيئة . اما الأول فهو بيع مال ربوي بمثله مع زيادة في احد المثلين . واما الثاني وهو ربا الجاهلية : فهو تأخير الدين في نظير الزيادة على مقداره الأصلي ، أو تأخير قبض احد البدلين في بيع المال الربوي بجنسه .

ب ـ واقعة الفرار من الطاعون :

أخرج الحافظ ابن حجر والطبراني عن يَعْلى بن شداد قال : ذكر معاوية الفرار من الطاعون في خطبته ، فقال له عبادة : أمك هند أعلم منك ، فأتم خطبته ، ثم صلى ، ثم أرسل إلى عبادة ، فنفذت رجال الأنصار معه ، فاحتبسهم ، ودخل عبادة فقال له معاوية : ألم تتق الله وتستحي إمامك ؟ فقال عبادة : أليس قد علمت أني بايعت رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، أني لا أخاف في الله لومة لائم ؟ .

ثم خرج معاوية عند العصر،فصلى العصر ، ثم أخذ بقائمة المنبر، فقال:أيها الناس،إني قد ذكرت لكم حديثاً على المنبر،فدخلت البيت، **فإذا الحديث كما حدثني عبادة ، فاقتبسوا منه ، فهو افقه مني**(١).

الله أكبر هذا تراجع له قيمته الكبرى من أمير الشام معاوية.

ج ـ المدح في وجه الإنسان :

أخرج الحافظ ابن حجر عن الوليد بن عبادة قال : كان أبي عبادة مع معاوية في عسكره ، فأذّن يوماً ، فقام خطيب يمدح معاوية ويثني عليه ، فقام عبادة بتراب في يده ، فحثاه في فم الخطيب ، فغضب معاوية ، فقال له عبادة مجيباً له : إنك يا معاوية لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله ﷺ بالعقبة على السمع والطاعة

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٧/٢١٠ وما بعدها .

في منشطنا ومكسلنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقوم بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ، وقال رسول الله ﷺ : احثوا في أفواه المداحين التراب[1] .

د ـ إتلاف خمر غيره :

أخرج الحافظ ابن حجر أيضاً عن عمير بن رفاعة قال : مر على عبادة بن الصامت وهو في الشام قِطَارَةٌ[2] تحمل الخمر ، فقال : ما هذه ؟ أزيت ؟ قيل : لا ، بل خمر تباع لفلان ، فأخذ شفرة من السوق ، فقام إليها ، فلم يذر فيها راوية إلا بقرها ، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام ، فأرسل فلان إلى أبي هريرة يقول له : أما تمسك عنا أخاك عبادة ؟ أما بالغدوات فيغدو إلى السوق ، فيفسد

---

(١) تهذيب ابن عساكر :٧/٢١١ . روى هذا الحديث مسلم عن المقداد بلفظ : « إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب » (رياض الصالحين : ص ٥٨٠) وهذا من أحاديث النهي ، وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحة ، قال العلماء : وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال : إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين، ورياضة نفس ومعرفة تامة بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك ولا تلعب به نفسه ، فليس بحرام ولا مكروه ؛ وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور كره مدحه في وجهه كراهة شديدة . وعلى هذا التفصيل تنزل الأحاديث المختلفة في ذلك (رياض الصالحين : ص ٥٨٠) .

(٢) القطارة : أن تشد الإبل على نسق ، واحداً خلف واحد . يقال : « مرت به قطارة جمال » .

على أهل الذمة متاجرهم ، وأما بالعشي فيقعد في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا أو عيبنا ، فأمسك عنا أخاك .

فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة فقال له : يا عبادة مالك ولمعاوية ؟ ذره وما حمل ، فإن الله يقول : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم »[1] .

قال: ياأباهريرة،لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله ﷺ،بايعناه على السمع والطاعة،في النشاط والكسل،وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وعلى أن نقول في الله،لا تأخذنا في الله لومة لائم ، وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب ، فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ، ولنا الجنة . فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما بايع عليه رسول الله ﷺ ، وفّى الله له بما بايع عليه نبيه ، فلم يكلمه أبو هريرة بشيء[2] .

وروى الإمام أحمد حديث البيعة ، وفيه : فكتب معاوية إلى عثمان بالمدينة أن عبادة قد أفسد علي الشام وأهله ، فإما أن تكفه إليك ، وإما أن أخلي بينه وبين الشام ، فكتب إليه عثمان أن أرحِل عبادة حتى ترجعه إلى داره من المدينة ، فبعث بعبادة

---

(١) الآية ١٣٤ و ١٤١ من سورة البقرة .

(٢) تهذيب ابن عساكر : ٧/٢١١ .

حتى قدم المدينة ، فدخل على عثمان في الدار ، وليس فيها إلا رجل من السابقين أو من التابعين الذين قد أدركوا القوم متوافرين ، فلم يفج[1] عثمان به ، إلا وهو قاعد في جانب الدار ، فالتفت إليه ، وقال : مالنا ولك ياعبادة ؟ .

فقام عبادة بين ظهراني الناس ، فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ أبا القاسم يقول : إنه سيلي أموركم بعدي رجال يُعرّفونكم ما تنكرون ، وينكرون عليكم ما تعرفون ، فلا طاعة لمن عصى ، فلا تضلوا بربكم ، فوالذي نفس عبادة بيده ، إن فلاناً ــ يعني معاوية ــ لمن أولئك ، فما راجعه عثمان بحرف[2] .

هـ ــ تهكمه بمعاوية :

أخرج الحافظ ابن حجر عن حميد بن زياد أنه بلغه أن عبادة ابن الصامت حين ذكر الناس من شأن عثمان ما ذكروا قال : والله لا أحضر هذا الأمر أبداً ، فخرج من المدينة حتى لحق بعسقلان ، فمكث حتى فرغ من عثمان . ثم أقام حتى استخلف معاوية فقام

---

(١) لعله من فجأ او فجىء : اي هجم عليه ، او طرقه بغتة من غير ان يشعر به ، عاجله .

(٢) تهذيب ابن عساكر : ٧/٢١١ ، والحديث في مسند احمد : ٥/٣٢٩ « سيلي اموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون ، وينكرونكم ما تعرفون ، فلا طاعة لمن عصى الله تعالى ، فلا تعتلوا بربكم » .

ـ أي معاوية ـ على المنبـــر ، فخطب الناس ، فذكر آبا بكر الصديق ، فصلى عليه ، ثم قال : إنه وطىء عقب نبيه ، واتبع أثر صاحبه ، ثم مات ، وله الفضل من ذلك ، لا عليه . ثم مكث عثمان ثماني سنين لا يخالف أمر نبيه وصاحبيه ، ثم أخذ وترك فمات ، فالله أعلم به ، ثم وليت فأخذت حتى خالط لحمي ودمي ، فهو خير مني ، وأنا خير ممن بعدي ، ويا أيهـــا الناس إنما أنا لكم جُنَّـــة[1] ، فقام عبادة بن الصامت فقال : أرأيت إن احترقت الجنة ؟ قال : إذن تخلص إليك النار ، قال : من ذلك أفر ، فأمر به فأخذ ، فأُضرط[2] بمعاوية . ثم قال :

علمت كيف كانت البيعتان حين دعينا إليهما ؟ دعينا على أن نبايع على أن لا نزني ولا نسرق ولا نخاف في الله لومـــة لائم ، فقلت : أما هذه فأعفني يا رسول الله ، ومضيت أنا عليها ، وبايعت رسول الله ﷺ ، ولأنت يا معاوية أصغر في عيني من أن أخافك في الله عز وجل .

فقال معاوية : صدقت قد كان هذا في شأن البيعتين ، فأمر به فأرسل[3] .

---

(١) جنة : أي سترة ووقاية .

(٢) ضرط واضرط بفلان : عمل بفمه كالضراط وهزىء به .

(٣) تهذيب ابن عسـاكر .

و ـ الصبر على الحاجة :

قال معاوية يوماً : يا معشر الأنصار ، مالكم لم تلقوني مع إخوانكم من قريش ؟ فقال عبادة : الحاجة يا أمير المؤمنين ؟ قال : هلا على النواضح[1] ؟ قال : أنضيناها[2] يوم بدر مع رسول الله ﷺ ، فما أجابه معاوية ، فقال عبادة : قال لنا رسول الله ﷺ : إنكم سترون بعدي أثرة ، قال معاوية : فما أمركم ؟ قال : أمرنا أن نصبر ، قال : فاصبروا حتى تلقوه[3] .

هذه كلها دلائل تشير إلى أن عبادة ملتزم التزاماً دقيقاً بأحكام الشريعة ، لا يحيد عنها قيد أنملة ، بسبب صدق بيعته الرسول ﷺ في ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان .

سابعاً ـ تبرؤه من حلف بني قينقاع :

هذا الالتزام على جادة الشريعة ، وهذا الصدق والإخلاص في اليقين من عبادة ، جعله يتبرأ إلى الله من حلفائه اليهود . وقد تضافرت كتب السيرة في الإشادة بموقف عبادة ، ونزول القرآن فيه[4] ، وسنذكر الروايات المختلفة في هذا الشأن .

---

(١) النواضح جمع ناضحة : البعير يستقى عليه .

(٢) أنضى البعير : هزله .

(٣) تهذيب ابن عساكر : ٢١٣/٧ .

(٤) راجع سيرة ابن هشام : قسم ثاني / ٤٩ وما بعدها ، البداية والنهاية : ٤/٤ ، تهذيب ابن عساكر : ٢٠٩/٧ ، حياة الصحابة : ٥٧٧/١ وما بعدها ، الإصابة : ٢٦٩/٢ ، تفسير ابن كثير : ٦٩/٢ .

أ ـ قال ابن جرير الطبري : لما انهزم أهل بدر ، قال المسلمون لأوليائهم من اليهود : أسلموا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر ، فقال مالك بن الصَّيف : أغرَّكم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال ؟ أما لو أسررنا العزيمة أن نستجمع عليكم ، لم يكن لكم يد أن تقاتلونا !.

فقال عبادة بن الصامت : يا رسول الله ، إن أوليائي من اليهود ، كانت شديدة أنفسهم ، كثيراً سلاحهم ، شديدة شوكتهم ، **وإني ابرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود ، ولا مولى لي إلا الله ورسوله .**

فقال عبد الله بن أبي بن سلول[1] : لكني لا أبرأ من ولاية يهود ، إني رجل لا بدّ لي منهم .

فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا الحبّاب ، أرأيت الذي نَفِسْتَ به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت ، فهو لك دونه » . فقال : إذاً أقبل ، قال : فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ــ إلى قوله تعالى : والله يعصمك من الناس »[2] .

---

(١) هو زعيم المنافقين في المدينة .

(٢) الآيات ٥١ ــ ٦٧ من سورة المائدة ، راجع تفسير ابن كثير ، المكان السابق .

ب ـ وذكر في المغازي لابن إسحاق عن عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ ، تشبثَّث بأمرهم عبد الله بن أبيّ ، وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان من بني عوف له من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبيّ ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله ، من حلفهم ، وقال :

يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ، وولايتهم .

قال : وفيه وفي عبد الله بن أبيّ نزلت الآيات من المائدة : « يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » الآيات ، حتى قولـه : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة » يعني عبد الله بن أبيّ ، إلى قوله : « ومن يتول الله ورسوله ، والذين آمنوا، فإن حزب الله هم الغالبون »[١] يعني عبادة بن الصامت[٢].

جـ ـ وأخرج الحافظ ابن حجر من طريق أبي بكر البيهقي عن عبادة : لما حارب بنو قينقاع النبي ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله ابن أبيّ ، فمشى عبادة إلى رسول الله ﷺ ، وكان أحـد بني

---

(١) الآيات ٥١ ـ ٥٦ من سورة المائدة .

(٢) راجع تفسير ابن كثير ، البداية والنهاية له ، الإصابة ، سيرة ابن هشام ، حياة الصحابة : المكان السابق .

عوف بن الخزرج ، لهم من حلفهم مثل الذي لهم من حلف عبد الله ابن أبيّ ، فقال :

يا رسول الله ؛ اتبرا إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، واتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرا من حلف الكفار وولايتهم .

ففيه وفي عبد الله بن أبيّ نزلت الآيات في المائدة : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم » إلى قوله : « فترى الذين في قلوبهم مرض » يعني عبد الله بن أبيّ « يسارعون فيهم ، يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة » حتى بلغ قوله : « إنما وليكم الله ورسوله ، والذين آمنوا » لقول عبادة : أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، إلى قوله تعالى: « فإن حزب الله هم الغالبون »[1].

د ــ وقال الواقدي : أمر رسول الله ﷺ عبادة بتخلية بني قينقاع فجعلوا يقولون: يا أبا الوليد من بين الأوس والخزرج، ونحن مواليك ، فعلت هذا بنا ؟ فقال لهم : لما حاربتم جئت رسول الله ﷺ وقلت له : إني أبرأ إليك منهم من حلفهم . وكان ابن أبيّ وعبادة منهم بمنزلة واحدة في الحلف ، فقال له ابن أبيّ : تبرأت من حلف مواليك ؟ ما هذه بيد عندك ، وذكّره مواطن قد أبلوا فيها ، فقال عبادة : يا أبا الحُباب : تغيرت القلوب ، ومحا الإسلام

(١) تهذيب ابن عساكر ، المكان السابق .

العهود ، أما إنك والله لمعتصم بأمر سترى غبه[1] غداً ، فقامت قينقاع ـ وأخذهم عبادة بالرحيل والإجلاء ـ فطلبوا التنفيس[2] فقال لهم : ولا ساعة من نهـار ، لكم ثلاث لا أزيدكم عليهـا ، هذا أمر رسول الله ﷺ ، ولو كنت أنا ما نَفِستكم ، فلما مضت ثلاث ، خرج في آثارهم حتى سلكوا إلى الشام ، وهو يقول : الشرق الأبعد الأقصى فأقصى ، وبلغ خلف ذباب ثم رجع ، ولحقوا بأذرعات[3] .

أجمعت هذه الروايات على أن عبادة بصدق إيمانه ، ووفاء بعهده وبيعته ، تبرأ إلى الله ورسوله من حلف بني قينقاع ، واستمر ابن سلول زعيم النفاق على محالفتهم ، فتبين من المقارنة ما يفعل الإيمان الصحيح في النفوس ، وما يتركه أثر النفاق في القلوب . وكان تبرؤ عبادة معللاً بسبب : هو عدوان هؤلاء اليهود ونقضهم العهود ، ومحاربتهم لرسول الله . ولكن اختلفت الرواية الأولى عن الروايات الباقية في تحديد عدد الآيات التي نزلت بسبب هذا التبرؤ ، هل هي ١٧ آية أو ٦ آيات .

---

(١) الغب : العاقبة .

(٢) التنفيس : الإمهال وإزالة الكرب والغم .

(٣) تهذيب ابن عساكر ، المكان السابق . وذباب : جبل بالمدينة له ذكر في المغازي والأخبار (معجم البلدان : ٣/٣) وأذرعات : بلد في أطراف الشام من ناحية الجنوب ، يجاور أرض البلقاء وعمان (معجم البلدان : ١٣٠/١) وهي المعروفة اليوم بمدينة درعا .

قال محمد بن إسحاق : فكانت أول قبيلة من اليهود نقضت ما بينها وبين رسول الله ﷺ بنو قينقاع . وبالرغم من هذا فقد جامل النبي عبد الله بن أبي على مضض ، قال عاصم بن عمر بن قتادة : فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالي ، وكانوا حلفاء الخزرج ، قال : فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالي ، قال : فأعرض عنه ، قال : فأدخل يده في جيب درع[1] رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « أرسلني » قال : لا ، والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي : أربعمائة حاسر ، وثلاثمائة دارع[2] ، قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ، إني امرؤ أخشى الدوائر[3]، قال : فقال رسول الله ﷺ : «هم لك»[4].

* * *

---

(١) الدرع هنا : القميص الذي يلبس في البيت .

(٢) الحاسر : من كان بلا عمامة أو بلا درع ، والدارع : لابس الدرع .

(٣) يلاحظ أثر النفاق في هذا الموقف بسبب فراغ القلب والتخوف والاعتماد على الناس ، وكل ذلك يحدث هلعاً واضطراباً وترددأ وضعف نظر لا عمق فيه .

(٤) تفسير ابن كثير : ٦٩/٢ .



الفصل الخامس

منزلته العلمية

لم يقتصر عبادة على التفوق والسبق في الشؤون العسكرية والسياسية والدستورية ، والمساهمة في مصالح الدولة الإسلامية العامة ، وإنما كان عالي القدر رفيع الشأن والكعب في مجال العلم والمعرفة ، فاستحوذ على أقدس الاختصاصات العلمية في عصره ، وتهيأ له ثلاث نواحٍ : تفسير القرآن ، ورواية الحديث والأخبار ، وفقه الأحكام الشرعية واستنباطها من أدلتها ، والإفتاء فيها برأيه إن لم يجد نصاً صريحاً في الواقعة المسؤول عنها .

أولاً – تفسيره القرآن :

عاصر عبادة الوحي في أدق وألصق مراحله بسبب كتابته الوحي ، وعرف أسرار التنزيل وأسباب التأويل ونزول الآيات القرآنية ، وحقق بنفسه مدلول الدعوة إلى الجهاد والعمل والبناء ونشر دعوة الإسلام الذي هو أول واجبات وأركان دين الله الحنيف . وقد اشتملت تفاسير القرآن الكريم على كثير من آرائه في فهم الآية وتحديد المراد منها ، كما يبدو من النماذج التالية :

آ – في سورة الفاتحة :

فسر أهميتها في الصلاة بالأثر ، فلا تصح صلاة من لم يقل « إياك نعبد وإياك نستعين » وهو قادر عليه ، قال عبادة : قال رسول الله ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[1] . ورواية أحمد عن عبادة هي : « قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ، فقرأ فثقلت عليه القراءة ، فلما فرغ قال : تقرؤون ؟ قلنا : نعم يا رسول الله ، قال : لا عليكم أن لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب ، فإنه لا صلاة إلا بها »[2] .

ب – في سورة البقرة :

فسر آية : « وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به ، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ، وإياي فاتقون»[3] بأن لا تأخذوا عليه أجراً . روى عبادة أنه علّم رجلاً من أهل الصفة شيئاً من القرآن ، فأهدى له قوساً ، فسأل عنه رسول الله

---

(١) أخرجه عن عبادة وغيره البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده وأصحاب السنن الأربع ، وهو حديث متواتر (نظم المتناثر في الحديث المتواتر: ص٦٢ ،تفسير ابن كثير: ١/٢٥).

(٢) مسند أحمد : ٥/٣١٣ .

(٣) الآية ٤١ من سورة البقرة .

ﷺ فقال: « إن أحببت أن تطوق بقوس من نار فاقبله » فتركه[1].
رواه أبو داود[2] .

لكن يلاحظ وجود حديث صحيح آخر معارض رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري وهو : « إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » ، فيحمل حديث عبادة عند كثير من العلماء منهم ابن عبد البر على أنه لما علمه لله ، فلم يجز بعد هذا أن يعتاض عن ثواب الله بذلك القوس . فأما إذا كان من أول الأمر على التعليم بالأجرة ، فإنه يصح ، كما في حديث أبي سعيد الخدري [3] .

جـ ـ في سورة آل عمران :

قوله تعالى : « وما كان لنبي أن يغلّ ، ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »[4] فسرها عبادة بما رواه عن النبي ﷺ ، قال : « كان رسول الله ﷺ يأخذ الوبَرة من ظهر البعير من المغنم ،

(١) تفسير ابن كثير : ٨٤/١ ، حياة الصحابة : ٧٤٩/٣ .
(٢) رواه أيضاً الطبراني والحاكم والبيهقي .
(٣) تفسير ابن كثير ، المكان السابق .
(٤) الآية ١٦١ من سورة آل عمران .

ثم يقول : ما لي فيه إلا مثل ما لأحدكم ، إياكم والغلول [١] ، فإن الغلول خِزْي على صاحبه يـوم القيامـة ، أدوا الخيط والمخيط وما فوق ذلك ، وجاهدوا في سبيل الله القريب والبعيد ، في الحضر والسفر ، فإن الجهاد باب مـن أبواب الجنة ، إنـه لينجي الله به من الهم والغـم ، وأقيموا حـدود الله في القريب والبعيد ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم » [٢] .

د ـ في سورة النساء :

قال عزوجل : « واللاتي يأتـين الفاحشـة من نسائكم ، فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً » [٣] ؛ روى الإمام أحمد عن عبادة قال : « كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي أثّر عليه ، وكَرَبَ [٤] لذلك، وتربَّد وجهه عليه الصلاةوالسلام ، فأنزل الله تبارك وتعالى ذات يوم ، فلما سُرِّي عنه قال : خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً : الثيب بالثيب ، والبكر بالبكر ،

---

(١) الغلول : الخيانة .

(٣) رواه أحمد في مسنده : ٣١٦/٥ ، تفسير ابن كثير : ٤٢٢/١ .

(٣) الآية ١٥ من سورة النساء .

(٤) كربه الغم : اشتد عليه .

الثيب : جلد مائة ورجم بالحجارة ، والبكر : جلد مائة ، ثم نفي سنة »[1] .

وقال سبحانه : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدَهم الموتُ قال : إني تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليما »[2] روى ابن جرير من حديث عبادة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر»[3] .

هـ ـ في سورة المائدة :

ذكرنا قريباً في بحث تبرؤ عبادة من حلف بني قينقاع أن الآيات ٥١ ـ ٦٧ من هذه السورة نزلت بشأن عبادة وعبد الله ابن أبيّ[4] .

---

(١) ورواه أيضاً مسلم وأصحاب السنن بلفظ : « خذوا عني، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح (مسند أحمد : ٣١٨/٥ ، تفسير ابن كثير : ٤٦٢/١) .

(٢) الآية ١٨ من سورة النساء .

(٣) تفسير ابن كثير : ٤٦٤/١ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٦٨/١ وما بعدها .

و ـ في سورة الأنعام :

قال عز وجل : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ، فإذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »[1] .

روى الإمام أحمد وغيره عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ كان يقول : « إذا أراد الله بقوم بقاء أو نماء ، رزقهم القصد والعفاف ، وإذا أراد الله بقوم اقتطاعاً ، فتح لهم ـ أو فتح عليهم ـ باب خيانة ، (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ، فإذا هم مبلسون) كما قال : (فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين) »[2] .

ز ـ في سورة يونس :

قال تعالى : « الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم »[3] .

ذكر ابن جرير الطبري عن حميد بن عبد الله المزني قال : أتى رجل عبادة بن الصامت فقال : آية في كتاب الله أسألك عنها :

---

(١) الآيتان ٤٤ و ٤٥ من سورة الأنعام .

(٢) تفسير ابن كثير : ١٣٣/٢

(٣) الآيتان ٦٣ و ٦٤ من سورة يونس .

قول الله تعالى : « لهم البشرى في الحياة الدنيا » فقال عبادة : ما سألني عنها أحد قبلك ، سألت عنها نبي الله ، فقال مثل ذلك : « ما سألني عنها أحد قبلك : الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن في المنام أو تُرى له » .وفي لفظ آخر عن عبادة أنه قال لرسول الله ﷺ : « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » فقد عرفنا بشرى الآخرة : الجنة ، فما بشرى الدنيا ؟ قال : « الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له . وهي جزء من أربعة وأربعين جزءاً ، أو سبعين جزءاً من النبوة »[1] .

وفي رواية أحمد عن عبادة : « رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »[2] .

ح ـ في سورة الكهف :

قوله سبحانه : « قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه ، فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً »[3] ، عن شهر بن حوشب قال : جاء رجل إلى عبادة بن الصامت ، فقال : أنبئني عما أسألك عنه ، أرأيت رجلاً يصلي يبتغي وجه الله ، ويحب أن يحمد ، ويصوم

---

(١) تفسير ابن كثير : ٤٢٣/٢ .

(٢) مسند أحمد : ٣١٦/٥ ، وهذا حديث متواتر (نظم المتناثر : ص ١٣٩) .

(٣) الآية ١١٠ من سورة الكهف .

يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد ، ويتصدق يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد ، ويحج يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد ، فقال عبادة : ليس له شيء ، إن الله تعالى يقول : أنا خير شريك ، فمن كان له معي شريك فهو له كله ، لا حاجة لي فيه[1] .

وقد سبق لنا إيراد حديث مطول له مع شهر بن حوشب وأبي الدرداء في مسجد الجابية قال فيه عن الشرك : « أرأيتكم أحداً يصلي لرجل ، أو يصوم له ، أو يتصدق له ، أترون أنه قد أشرك ؟ قالوا : نعم »[2] .

ط ـ في سورة مريم :

قال عز وجل : « ما كان الله أن يتخذ من ولد سبحانه ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن فيكون ، وإن الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم »[3] ، روى عبادة بن الصامت في الحديث الصحيح المتفق على صحته ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم

---

(١) تفسير ابن كثير : ١٠٨/٣ .

(٢) تهذيب ابن عساكر : ٢٠٧/٧ .

(٣) الآية ٣٥ و ٣٦ من سورة مريم .

وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »[1] .

ي ـ في سورة النور :

قال الله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »[2] روى الإمام أحمد وأهل السنن الأربعة ومسلم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً : البكر بالبكر : جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب : جلد مائة والرجم »[3] .

ك ـ في سورة الممتحنة :

قال تعالى : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصينك في معروف ، فبايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم»[4] .

---

(١) تفسير ابن كثير : ١٢١/٣ ، مسند احمد ٣١٣/٥ وما بعدها .

(٢) الآية ٢ من سورة النور .

(٣) تفسير ابن كثير : ٢٦١/٣ .

(٤) الآية ١٢ من سورة الممتحنة .

قال الإمام أحمد : عن عبادة بن الصامت قال : كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال : « تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ــ قرأ الآية التي أخذت على النساء : إذا جاءك المؤمنات ــ فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به ، فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه ، فهو إلى الله ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه »[1] .

وقال محمد بن إسحاق عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن تفرض الحرب ، على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف، وقال : « فإن وفيتم فلكم الجنة »[2] .

ل ــ في سورة المرسلات :

قال سبحانه : « هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين • فإن كان لكم كيد فكيدون • ويل يومئذ للمكذبين »[3] قال ابن

---

(١) أخرجاه في الصحيحين (مسند احمد : ٣١٣/٥ ، تفسير ابن كثير : ٣٥٣/٤) .

(٢) رواه ابن أبي حاتم (تفسير ابن كثير ، المكان السابق) .

(٣) الآيات ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ من سورة المرسلات .

أبي حاتم عن أبي عبد الله الجدلي قال : أتيت بيت المقدس ، فإذا عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عمرو ، وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ، ويسمعهم الداعي ، ويقول الله : « هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين • فإن كان لكم كيد فكيدون » ، اليوم لا ينجو مني جبار عنيد ، ولا شيطان مريد ، فقال عبد الله بن عمرو : فإنا نحدث يومئذ أنها تخرج عنق من النار ، فتنطلق ، حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت : أيها الناس ، إني بعثت إلى ثلاثة ، أنا أعرف بهم من الأب بولده ، ومن الأخ بأخيه ، لا يغيبهم عني وزر ، ولا تخفيهم عني خافية :

- الذي جعل مع الله إلهاً آخر •
- وكل جبار عنيد •
- وكل شيطان مريد •

فتطوى عليهم ، فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة[1] •

م - في سورة القدر :

قال عز من قائل : « إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر »[2] قال الإمام أحمد : عن عبادة بن الصامت أنه

---

(١) تفسير ابن كثير : ٤/٤٦٠ وما بعدها .

(٢) الآية ١ و ٢ من سورة القدر .

سأل رسول الله ﷺ عن ليـلة القدر ، فقال رسول الله ﷺ : « في رمضان ، فالتمسوها في العشر الأواخر ، فإنهـا في وتـر إحدى وعشرين ، أو ثـلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو تسع وعشرين ، أو في آخر ليـلة »[1] وقال عبادة أيضاً : « خرج علينا رسول الله ﷺ وهو يريد أن يخبرنا بليلة القـدر ، فتلاحى رجلان ، فقال رسول الله ﷺ : خرجت وأنا أريد أن أخبركم بليلة القدر ، فتلاحى ـ أي تنازع ـ رجلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ، فالتمسوها في التاسعة أو السابعة أو الخامسة »[2] .

هذه نماذج من تفاسير عبادة بن الصامت ، يبين منها أنها في الغالب تعتمد على التفسير بالمأثور من السنة .

ثانياً ـ إسناده الحديث وتمسكه بالسنة :

كان عبادة بن الصامت شديد التمسك بالسنة ، كثير التعلق والمحبة والتأسي بالنبي ﷺ ، وقد لمسنا ذلك في مواقفه مـع معاويـة ، إذ كان يعلن أنـه بايع رسول الله ﷺ أن لا يبالي ولا يخاف في الله لومة لائم ، وأنه بايع النبي على السمع والطاعة ليلة العقبة . وقد أيده على مواقفه عثمان بن عفـان ، وعمر بن

---

(١) مسند أحمد : ٣١٨/٥ ، تفسير ابن كثير : ٥٣٣/٤ .

(٢) مسند أحمد : ٣١٣/٥ ، ورواه البخاري أيضاً عنه .

الخطاب إذ قال له عمر : « ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك ، قبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك » .

ومما يدل على ملازمة عبادة للنبي ﷺ : ما رواه أحمد عنه قال : « فقد النبيَ ﷺ ليلةً أصحابُه ، وكانوا إذا نزلوا أنزلوه أوسطهم ، ففزعوا وظنوا أن الله تبارك وتعالى اختار له أصحاباً غيرهم ، فإذا هم بخيال النبي ﷺ ، فكبروا حين رأوه ، وقالوا : يا رسول الله ، أشفقنا أن يكون الله تبارك وتعالى اختار لك أصحاباً غيرنا ، فقال رسول الله ﷺ : لا ، بل أنتم أصحابي في الدنيا والآخرة ، إن الله تعالى أيقظني ، فقال : يا محمد ، إني لم أبعث نبياً ولا رسولاً إلا وقد سألني مسألة أعطيتها إياه ، فاسأل يا محمد تعطَ ، فقلت : مسألتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ،وما الشفاعة ؟ قال : أقول : يا رب ، شفاعتي التي اختبأت عندك ، فيقول الرب تبارك وتعالى : نعم . فيخرج ربي تبارك وتعالى بقية أمتي من النار ، فينبذهم في الجنة »[1] .

وبهذه المحبة لرسول الله وبمحافظته القوية ، عظم اهتمامه برواية الحديث عن النبي ﷺ ، فروى عنه مباشرة كثيراً من الأحاديث[2] ، ولأهل مصر عنه عشرة أحاديث[3] ، وروي له عن

---

(١) مسند أحمد : ٣٢٥/٥ وما بعدها .

(٢) تهذيب التهذيب : ١١١/٥ ، الإصابة : ٢٦٨/٢ .

(٣) حسن المحاضرة : ٢١١/١ .

رسول الله ﷺ مائة وأحد وثمانون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها على ستة ، وانفرد البخاري بحديثين ، ومسلم بآخرين[1] ، فكان بذلك معدوداً من أكابر الصحابة حفَظَة الحديث ، وأحصيت له أكثر من عشرة أحاديث متواترة . حتى إن له في مسند أحمد مسنداً مستقلاً بأحاديثه وأخباره[2] .

والمسانيد عن الصحابة المشهورين كثيرة جمعها الإمام أحمد وغيره : وهي كتب تضم أحاديث رسول الله ﷺ بأسانيدها خالية من فتاوى الصحابة والتابعين ، تجمع فيها أحاديث كل صحابي ـ ولو كانت في مواضيع مختلفة ـ تحت اسم مسند فلان ، ومسند فلان ، وهكذا[3] .

ويعتبر مسند الإمام أحمد أوفى تلك المسانيد وأوسعها ؛ إلا أن أحمد روى في مسنده ما اشتهر ، ولم يقصد الصحيح ولا السقيم[4] .

---

(١) تهذيب الأسماء : ٢٥٧/١ ، مشاهير علماء الأمصار ، رسالة ابن حزم في أسماء الصحابة وما لكل واحد من العدد ، مطبوعة مع جوامع السيرة : ص ٢٧٧ .

(٢) مسند أحمد : ٤٤١/٣ ، ٢٠١/٤ ، ١١٤/٥ ، ٣١٣/٥ ـ ٣٣٠ ، طبع بيروت .

(٣) السنة قبل التدوين : ص ٣٣٨ .

(٤) مسند أحمد ـ مقدمة أحمد شاكر : ٥٧/١ ، منقولاً من صيد الخاطر : ص ٢٤٥ .

ثالثاً ـ شيوخه في الرواية واقرانه وتلامذته :

شيوخــه :

روى عبادة الحديث مباشرة عن النبي ﷺ ، بسبب طول مصاحبته ، كما روى عن بعض الصحب وغيرهم مثل أنس وجابر والمقداد وأبي إدريس الخولاني ومحمود بن الربيع وغيرهم[1] .

ويعتبر عبادة من كبار الصحابة الذين تكلموا في نقد الرجال ووضع أسس علم الجرح والتعديل على ضوء الشريعة الحنيفية ، متأسين برسول الله ﷺ ، وقد سرد ابن عدي في مقدمة « كامله » أسماء الصحابة الذين تكلموا في الرجال : وهم عمر ، وعلي ، وابن عباس ، وعبد الله بن سلام ، وعبادة بن الصامت ، وأنس ، وعائشة ، رضي الله عنهم[2] .

فهو إذاً نقاد بحاثة ، متبصر متعقل ، ذو رأي وفكر حصيف .

وأما أقرانه : فمنهم أبو أيوب الأنصاري وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله ، ورفاعة بن رافــع ، وشُرحِبيل بن حَسَنَة وسلمة بن المحبّق ، وأبو أمامة ، وعبد الرحمن بن غَنْم ، وفضالة ابن عُبيد ، ومحمود بن الربيع وغيرهم من الصحابة . والأسود ابن ثعلبة ، وجبير بن نفير ، وجُنادة بن أبي أمية ، وقحطان بن

---

(1) رجال الأثر لأستاذنا الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف : ص ١٩١ .

(2) السنة قبل التدوين : ص ٢٣٥ .

عبد الله الرقاشي ، وعبد الله بن محيريز ، وأبو عبد الرحمن الصنابحي ، وربيعة بن ناجذ ، وعطاء بن يسار ، وقبيصة بن ذؤيب ، ونافع بن محمود بن ربيعة ، ويعلى بن شداد بن أوس ، وأبو الأشعث الصنعاني ، وأبو إدريس الخولاني[1] ، وخلق آخرون[2] .

وأما رواة الحديث عنه : فهم أبو أمامة الباهلي ، وأنس بن مالك ، وأبو أبي ابن أم حرام ، وجابر بن عبد الله ، وفضالة بن عُبيد ، والمقدام بن عمرو بن معدي كرب ، ورفاعة بن رافع ، وأوس بن عبد الله الثقفي ، وشُرحبيل بن حَسَنة ، ومحمود بن الربيع ، وكلهم من الصحابة . وأبو إدريس الخولاني ، وأبو مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن عسيلة الصُّنَابحي ، وحِطَّان الرقاشي ، وأبو الأشعث الصنعاني ، وجبير بن نفير ، وجنادة بن أبي أمية ، وغيرهم من كبار التابعين ومن بعدهم[3] .

---

(١) اسمه عائذ الله بن عبد الله ، ولد في حياة النبي ﷺ يوم حنين ، وسمع من كبار الصحابة ، فهو من أعلام التابعين ومات سنة ثمانين (تقريب التهذيب : ١/٣٩٠) .

(٢) تهذيب التهذيب : ٤/١١١ وما بعدها ، تقريب التهذيب : ١/١٣٤ .

(٣) الإصابة : ٢/٢٦٨ ، أسد الغابة : ٣/١٠٦ ، تهذيب الأسماء : ١/٢٥٧ ، مشاهير علماء الأمصار: ص ١٥٩ ، الاستيعاب: ٢/٨٠٩ ، تقريب التهذيب : ١/١٨٤ .

وروى عنه من التابعين بنوه : الوليد ، وعبيد الله ، وداود ، بنو عبادة[1] .

رابعاً ـ نماذج من احاديثه :

أخرج أحاديث عبادة بن الصامت وأخباره : البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه (الكتب الستة) ، كما أخرجها الإمامان مالك في الموطأ وأحمد في المسند ، والطبراني في الكبير وغيرهم . وقد تضمنت المباحث السابقة كثيراً من أحاديثه وأخباره ، فلا حاجة لتكرارها حتى لا أطيل . لكنني سأذكر هنا روايات حديثه في البيعة ؛ لأن أحكام البيعة تدور عليها ، وهي ذات أهمية كبيرة في ميدان الحكم والسياسة ونصرة الإسلام والرسول عليه الصلاة والسلام في بدء الدعوة الإسلامية ، ولقد أثرت هذه البيعة تأثيراً عميقاً في تكوين شخصية عبادة كما عرفنا ، وجعلها محور حياته في كل مناسبة ، وبخاصة في إنكاره المنكر .

احكام البيعة :

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال[2] : « كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس ، فقال : تبايعوني على ألا تشركوا

---

(١) تهذيب الأسماء : ٢٥٧/١ .

(٢) اخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي واحمد (جامع الأصول : ١٦١/١ وما بعدها ، مسند احمد : ٣١٣/٥ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٣) .

بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » .

وفي رواية « ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان[1] تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف [2] ، فمن وفى[3] منكم فأجره على الله ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا ، فهو كفارة له وطَهْر ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه ، فأمره إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذبه ، قال فبايعناه[4] على ذلك » .

---

(١) البهتان : الكذب الشنيع ، وهو في الآية والحديث : كناية عن ولد الزنى؛ أي نسبة المراة ولداً من غير زوجها إلى زوجها ، والافتراء هو تعمد اختلاق الكذب . قال بعضهم : والآية والحديث أعم في التحذير من نسبة ولد الزنى ، ويشمل كل الوان الزور بين الزوجين وفي المحاكم وغيرها .

(٢) المعروف : كل ما تعرفه الفطر السليمة ولا تستقبحه العقول الراجحة من الأخلاق والشرائع والأعمال والمعاشرة ، وهو الذي جاء الإسلام دين الفطرة القيم به .

(٣) وفى : ثبت على ما بايع عليه به وقام به على الوجه المطلوب .

(٤) البيعة : المعاقدة على الإسلام والأمانة والإمارة ، والمراد بها هنا : على الإسلام وإعطاء العهود به .

وفي أخرى : « فتلا علينا آية النساء[1] : ألا يشركن بالله شيئاً » الآية .

وفي أخرى : قال : « إني لمن النقباء[2] الذين بايعوا رسول الله ﷺ ، بايعناه على ألا نشرك بالله شيئاً » وزيد فيها : « ولا ننتهب ولا نعصي ؛ بالجنّة إن فعلنا ذلك ، فإن غشينا من ذلك شيئاً ، كان قضاءُ ذلك إلى الله عز وجل » .

هذا لفظ البخاري ومسلم .

وفي رواية لمسلم قال : « أخذ علينا رسول الله ﷺ ، كما أخذ على النساء : ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ولا نقتل أولادنا ، ولا يعضه[3] بعضنا بعضاً » .

ووافقهما الترمذي على الرواية الأولى .

---

(١) أي الآية التي نزلت في شأن النساء من سورة الممتحنة .

(٢) النقباء كما بينا جمع نقيب : وهو عريف القوم والمقدم عليهم الذي يتعرف أخبارهم ، وينقب عن أحوالهم ، وكان النبي ﷺ قد جعل ليلة العقبة كل واحد من الجماعة الذين بايعوه نقيباً على قومه وجماعته ، ليأخذوا عليهم الإسلام ويعرفوهم شرائطه ، وكان عبادة من جملتهم ، وعددهم اثنا عشر نقيباً من الأنصار .

(٣) العضه : الرمي بالكذب والبهتان .

وأخرجه النسائي ، قال : « بايعت النبي ﷺ ليلة العقبة[1] في رهط[2] ، فقال : أبايعكم على ألا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تشربوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فأُخذ[3] به في الدنيا ، فهو كفارة له وطهور ، ومن ستَره الله ، فذلك إلى الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له » .

التزام ميثاق البيعة :

قال عبادة بن الصامت : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، في العسر واليُسر ، والمَنْشَط[4] والمكْرَه[5] ، وعلى

---

(١) العقبة : هي التي تنسب إليها جمرة العقبة ، وهي بمنى. وكانت البيعة في شعب قريب من العقبة .

(٢) الرهط : الجماعة من الناس ، من الثلاثة إلى التسعة ، لا تكون فيهم امرأة .

(٣) أخذ فلان بذنبه : أي عوقب عليه ، والكفارة ، الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها .

(٤) المنشط : الأمر الذي ينشط له ، ويخف إليه ، ويؤثر فعله .

(٥) المكره : الأمر الذي تكرهه النفس ، وتتشاغل عنه لثقله عليها .

أَثرة[1] علينا ، وعلى ألا ننازع الأمر أهله [2] ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم » .

وفي رواية : « إلا أن تروا كُفْراً بواحاً[3] ، عندكم من الله فيه برهان »[4] .

خامساً ــ فقهه بين الصحابة :

كان عبادة فقيهاً بين الصحابة يستفتى في الوقائع والحوادث الطارئة ، واشتهر بأنه « فقيه الشام وفلسطين »[5] أرسله عمر بن الخطاب إلى الشام يفقه أهلها ويعلمهم القرآن ، كما كان يعلّم أهل الصُّفَّة القرآن في المدينة المنورة .

---

(١) الأثرة : الاستئثار بالشيء والانفراد به . والمراد : ان نفي ببيعتنا ــ ولو منعنا حقنا من الغنائم والفيء واعطيه غيرنا ــ نصبر على ذلك .

(٢) أي لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ، ولا تعترضوا عليهم الا ان تروا منكراً محققاً تعلمونه من نصوص الإسلام .

(٣) أي كفراً ظاهراً ، ويعني « عندكم من الله فيه برهان » أي : تعلمونه بالحجة والدليل الواضح المنصوص من دين الله تعالى ، لا بالتأويل والراي والقياس .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم ومالك والنسائي (جامع الأصول: ١/١٦٥) .

(٥) الإصابة : ٢/٢٦٩ .

وقد شهد له بفقهه كبار أهل الرأي . قال السراج في تاريخه من طريق مجاهد عن جنادة : دخلت على عبادة ، وكان قد تفقه في دين الله . هذا سند صحيح [1] .

وأخرج ابن سعد في طبقاته[2] عن خالد بن معدان قال : لم يبق من أصحاب رسول الله ﷺ بالشام أحد كان أوثق ولا أفقه ولا أرضى من عبادة بن الصامت وشداد بن أوس رضي الله عنهما [3] .

وفي مسند إسحاق بن راهويه والأوسط للطبراني من طريق عيسى بن سنان عن يعلى بن شداد قال : ذكر معاوية الفرار من الطاعون ـ فذكر قصة له مع عبادة ـ فقام معاوية عند المنبر بعد صلاة العصر ، فقال : الحديث كما حدثني عبادة ، فاقتبسوا منه ، فهو أفقه مني[4] .

وفي الجملة : كان عبادة من سادات الصحابة[5] .

---

(١) الإصابة ٢/٢٦٩ .

(٢) ج ٤/١٨٨ .

(٣) حياة الصحابة : ٣/٧٩٨ .

(٤) تهذيب ابن عساكر : ٧/٢١٠ وما بعدها ، الإصابة : ٢/٢٦٩ .

(٥) حسن المحاضرة : ١/٢١١ .

وقد صنفه ابن قيم الجوزية وابن حزم وغيرهما في فئة الصحابة متوسطي الفتيا[1] . قال ابن القيم : والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفساً ، ما بين رجل وامرأة :

آ ـ وكان المكثرون منهم سبعة : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر .

قال أبو محمد بن حزم : ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سِفْر ضخم .

قال : وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين : المأمون : فُتْيا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في عشرين كتاباً .

وأبو بكر محمد المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث .

ب ـ قال أبو محمد بن حزم : والمتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا : أبو بكر الصديق ، وأم سلمة ، وأنس بن مالك ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو موسى الأشعري ، وسعد بن أبي وقاص ، وسلمان الفارسي ، وجابر بن عبد الله ،

---

(1) اعلام الموقعين : ١/١٢ ، رسالة ابن حزم اصحاب الفتيا مطبوعة مع جوامع السيرة : ص ٣٢٠ ، شذرات الذهب : ١/٦٢ .

ومعاذ بن جبل ، فهؤلاء ثلاثة عشر يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير جداً .

ويضاف إليهم : طلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمران بن حُصَين ، وأبو بكرة ، وعبادة بن الصامت ، ومعاوية ابن أبي سفيان .

جـ ـ والمقلون منهم مقلون في الفتيا ، لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان ، والزيادة اليسيرة على ذلك ؛ يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث وهم : أبو الدرداء ، وأبو اليسر ، وأبو سلمة المخزومي ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد ، والحسن والحسين ابنا علي ، والنعمان بن بشير ، وأبو مسعود ، وأبي بن كعب ، وأبو أيوب ، وأبو طلحة ، وأبو ذر ... الخ[1] .

ومما يدل على فقه عبادة اهتمامه برواية أحاديث تعد أصلاً في الفقه ، كحديث تحريم ربا الفضل والنسيئة ، والبيعة ، والرجم ، والقراءة بفاتحة الكتاب ، وقسمة الغنائم ، وفضل الجهاد والصلاة لوقتها والقرآن ، ونحوها مما سبق ذكره .

ومثل حديثه في تحريم حرم المدينة قال : « إن رسول الله ﷺ

---

(١) راجع اعلام الموقعين ، المكان السابق .

حرم ما بين لابتيها[١] ، كما حرم إبراهيم مكـة »[٢] وحديث : « الدار حرم ، فمن دخل عليك حرمك فاقتله »[٣] وحديث عدم إيجاب الوتر : « أن رجلاً من الأنصار كان بالشام يكنى أبا محمد، أخبر المخدجي ــ رجلاً من بني كنانة ــ أن الوتر واجب ، فراح المخدجي إلى عبادة بن الصامت ، فذكر له أن أبا محمد يقول : الوتر واجب ، فقـال عبادة بن الصامت : كذب أبو محمـد ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : خمس صلوات كتبهن الله تبارك وتعالى على العباد ، من أتى بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن ، كان له عند الله تبارك وتعالى عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأتِ بهن فليس له عند الله عهد : إن شاء عذبـه ، وإن شاء غفر له »[٤] .

وحديث التجرؤ على استحلال الخمر : « ليستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه »[٥] .

---

(١) لابتا المدينة : حرتان تكتنفانها . والحرة : ارض ذات حجارة سود نخرة كأنها احرقت بالنار .

(٢) مسند احمد : ٥/٣١٧ وما بعدها . وهذا حديث متواتر (نظم المتناثر : ص ١٢٨) .

(٣) مسند احمد : ٥/٣٢٦ .

(٤) مسند احمد : ٥/٣١٥ ، ٣١٧ .

(٥) مسند احمد : ٥/٣١٨ .

وحديث المسيح الدجال : « إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا ، إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج[1] ، جعد ، أعور ، مطموس العين ، ليس بناتئة ولا حَجْزاء[2] ، فإن ألبس عليكم ــ قال يزيد بن عبد ربه الراوي بطريقه إلى عبادة : ربكم ــ فاعلموا أن ربكم تبارك وتعالى ليس بأعور ، وإنكم لن ترَوْنَّ ربكم تبارك وتعالى حتى تموتوا ، قال يزيد : تروا ربكم حتى تموتوا »[3] .

وحديث « القلم » : « أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب »[4] .

سادساً ــ تنبؤاته :

كان عبادة صادق الحَدْس ، كثير التأمل ، مخلص القصد والنية والعمل ، مما جعله يقدر الأمور للمستقبل تقديراً صائباً . عن شهر بن حوشب قال : سمعت عبد الرحمن بن غَنْم يقول : لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء ، ألفينا عبادة بن الصامت، فأخذ يميني بشماله ، وشمال أبي الدرداء بيمينه ، فخرج يمشي

---

(١) الأفحج : من تداني صدور قدميه وتباعد عقباه .

(٢) اي ليست ممنوحة ولا غائرة .

(٣) مسند احمد : ٥/٣٢٤ .

(٤) رواه ابو داود والترمذي (ذخائر المواريث : ص ٢٨٠) .

بيننا ، فقال عبادة : إن طال بكما عمر أحدكما أو كلاكما ، فيوشك أن تريا الرجل من ثبج (وسط) المسلمين قد قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ أعاده وأبدأه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، ونزل عند منازله ، أو قرأه على لسان أحد ، لا يحور (يرجع) فيكم إلا كما يحور رأس الحمار الميت[1] .

وقد تحققت تفاؤلات عبادة ، فهذه ملايين المسلمين ــ ولله الحمد ــ تقرأ القرآن وتتدارسه ، وتسعى للعمل به .

* * *

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٢٠٧/٧ .

خاتمة

هذه سيرة شذية عبقة تفوح بالأريج المعطار لرجل من رجالات الإسلام العظام ، تربوا في مهاد النبوة ، وانطلقوا يفتحون الدنيا شرقاً وغرباً بعقلهم وذكائهم وسلوكهم الحميد وعزيمتهم القعساء وإيمانهم الصلب الذي لا يتزعزع .

لقد لمسنا من دراسة حياة عبادة بن الصامت معاني جمة تصلح للتأسي والاقتداء لأبناء الجيل المسلم في كل زمان ومكان. فمنذ أن شرح الله صدره للاسلام أصبح في رباط دائم واستعداد مطرد للعمل البنّاء ، والعطاء ، والخير . فأصلح نفسه ، وأناب لربه ، وخشعت جوارحه لخالقه ، وكان من أوائل المسلمين الصالحين .

كان مهيباً في طلعته ، زعيماً في قومه ، جريئاً في الحق ، لا يهاب أحداً ، عفيف النفس ، جواداً ، متحلياً بأكمل الخصال ومن أهمها : إيثار غيره .

شهد أحداث الإسلام الكبرى ، وخاض كل المعارك مع النبي ﷺ ، وتابع جهاده في الشام ومصر في عهد الخلفاء الراشدين ، وسجل بقيادته انتصار الفتح لكثير من البلاد ، بسبب تضحيته وفدائه وحكمته .

وقد شهد بيعات ثلاث مع النبي ﷺ : بيعة العقبة الأولى والثانية في السنة الثانية عشرة والثالثة عشرة من البعثة ، وبيعة الرضوان وهي بيعة تمّت تحت الشجرة بالحديبية ، عندما بعث الرسول عليه الصلاة والسلام عثمان بن عفان إلى قريش سفيراً في صلح الحديبية سنة ست من الهجرة ، فأشيع أن قريشاً قتلت عثمان ، فدعا الصحابة إلى البيعة ومنهم عبادة ، فبايعوه على أن لا يفروا . وكان لهذه البيعات تأثير عميق في تكوين شخصية عبادة وتوجيه سلوكه ومتابعة مسيرة الشرف والبذل والجهاد الحق .

تجلى إيمانه الراسخ في مشهد مقارتته مع عبد الله بن أبي ابن سلول زعيم المنافقين في المدينة ، إذ تبرأ من حلف يهود بني قينقاع لحربهم رسول الله ، وبقي رأس النفاق على حلفهم وموالاتهم .

شهد الله تعالى لعبادة بالإيمان في مناسبتين : بيعة الرضوان: «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة»، وبعد تخليه عن اليهود وبراءته من حلف بني قينقاع : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » .

أنكر على معاوية أموراً عديدة ، كما أنكر على كل متقاعس أو متناسي تطبيق أحكام شريعة الله التي تطالب المسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ويذكر التاريخ الإسلامي لعبادة نقيب القواقل من الأنصار نشره الإسلام في ربوع المدينة ، وتمهيده لهجرة النبي ﷺ إليها .

كما يذكر له جهاده الدائم لتثبيت صرح الدعوة الإسلامية ، وتحطيم عدوان المعتدين ، وحماية نشر العقيدة .

ويعرف له التاريخ جمعه القرآن وروايته حديث النبي ﷺ، وقيامه بنشر العلم والفقه في المدينة والشام ، وضرب المثل الأعلى بعدالة ونزاهة قضاة الاسلام في فلسطين .

وبكلمة موجزة : جمع عبادة بين تاجين : تاج الكفاح الحربي ، وتاج العلم والمعرفة ، فهو قائد فاتح معدود بألف رجل ، ونقيب أمين ، ومفسر واع ، وقاض عادل ، ومحدث صادق ، وفقيه مجتهد . وسبب كل ذاك : إيمانه العميق ، وشجاعته الشخصية وإقدامه النادر .

رحمه الله رحمة واسعة ، ورضي الله عنه ، وهل بعد رضا الله عنه رضا ، قرآناً متلواً إلى يوم القيامة : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً » .

أجل : أحبك يا عبادة حبين بل ثلاثاً : حب الإسلام ، وحب الصحبة لنبيك ﷺ ، وحب الجهاد في سبيل الله تعالى ، فهل حبي لك يحشرني معك ؟!

ابو عبادة
الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي
أستاذ ورئيس قسم الفقه الاسلامي ومذاهبه
بجامعة دمشق

المـــراجع

١ ــ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، طبعة البابي الحلبي بمصر .

٢ ــ التفسير الواضح ، للشيخ محمد محمود حجازي ، الطبعة الأولى .

٣ ــ صحيح البخاري ، إدارة الطباعة المنيرية .

٤ ــ شرح صحيح مسلم ، مطبعة حجازي بالقاهرة .

٥ ــ سنن أبي داود ، طبع البابي الحلبي .

٦ ــ جامع الترمذي ، طبع حمص ، سورية .

٧ ــ سنن ابن ماجه ، طبع البابي الحلبي .

٨ ــ جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ لابن الأثير الجزري ، طبع مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

٩ ــ مجمع الزوائد لابن أبي بكر الهيثمي ، مكتبة القدسي .

١٠ ــ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ، مطبعة البابي الحلبي .

١١ ــ مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري،طبع الكويت•

١٢ ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المكتب الاسلامي ، بيروت •

١٣ ــ سبل السلام للصنعاني ، طبع البابي الحلبي بمصر •

١٤ ــ نيل الأوطار للشوكاني ، المطبعة العثمانية المصرية •

١٥ ــ نظم المتناثر في الحديث المتواتر ، للعلامة محمد بن جعفر الكتاني ، دار المعارف بحلب سورية •

١٦ ــ ذخائر المواريث في الدلالة على مواضيع الحديث للشيخ عبد الغني النابلسي ، طبع جمعية النشر والتأليف الأزهرية•

١٧ ــ علوم الحديث أو مقدمة ابن الصلاح ، نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة •

١٨ ــ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ، مطبعة صبيح بمصر •

١٩ ــ اعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ، مطبعة السعادة بصر •

٢٠ ــ السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب ، نشر مكتبة وهبة بالقاهرة •

٢١ ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدية للدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر •

٢٢ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ، تصوير بيروت •

٢٣ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي بيروت •

٢٤ ـ صفة الصفوة للإمام ابن الجوزي ، الطبعة الأولى بالهند •

٢٥ ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي ، طبع القاهرة •

٢٦ ـ تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ، دار القاموس الحديث ، بيروت •

٢٧ ـ سيرة ابن هشام ، طبع البابي الحلبي ، القسم الأول ويشمل الجزأين الأول والثاني • والقسم الثاني ويشمل الجزأين الثالث والرابع •

٢٨ ـ سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، دار المعارف بمصر •

٢٩ ـ خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال للإمام صفي الدين أحمد الخزرجي ، المطبعة الخيرية •

٣٠ ـ البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ، الطبعة الأولى تصوير بيروت •

٣١ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان لابن أسعد بن سليمان اليمني ، مؤسسة الأعلمي في بيروت •

٣٢ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، المكتبة الاسلامية بطهران •

٣٣ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، مطبعة نهضة مصر •

٣٤ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، دار صادر ، بيروت •

٣٥ ـ تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، نشر المدينة المنورة •

٣٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، دار صادر بيروت •

٣٧ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر ، هذبه عبد القادر بدران ، طبعة عبيد إخوان ، مطبعة الترقي بدمشق •

٣٨ ـ تهذيب الأسماء واللغات للإمام أبي زكريا النووي ، إدارة الطباعة المنيرية بمصر •

٣٩ ـ جوامع السيرة لابن حزم ، دار المعارف بمصر •

٤٠ ــ كتاب الوزراء والكتاب ، تصنيف أبي عبد الله محمد ابن عبدوس الجهشياري ، مطبعة البابي الحلبي بمصر .

٤١ ــ العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ تأليف القاضي أبي بكر بن العربي ، تحقيق المرحوم محب الدين الخطيب ، ط لجنة الشباب المسلم .

٤٢ ــ معجم البلدان لياقوت الحموي ، دار صادر بيروت .

٤٣ ــ فتوح البلدان للامام أبي الحسن البلاذري ، مطبعة السعادة بمصر .

٤٤ ــ آثار البلاد وأخبار العباد ، تصنيف زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، دار صادر ، بيروت .

٤٥ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي الأتابكي ، المؤسسة المصرية العامة .

٤٦ ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ، مكتبة القدسي بمصر .

٤٧ ــ فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ، مكتبة المثنى ببغداد .

٤٨ ــ فتوح الشام للواقدي ، دار العهد الجديد للطباعة بمصر .

٤٩ ــ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ، طبع عيسى البابي الحلبي بمصر .

٥٠ ــ حياة الصحابة للعلامة محمد يوسف الكاندهلوي ، طبع دار القلم بدمشق •

٥١ ــ الكامل في التاريخ لابن الأثير ، دار صادر ، بيروت •

٥٢ ــ تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) دار المعرفة ، بيروت •

٥٣ ــ المعارف لابن قتيبة ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر •

٥٤ ــ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية • الطبعة الأولى ، مطبعة البابي الحلبي •

٥٥ ــ الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية لأحمد زيني دحلان ، مطبعة مصطفى محمد •

٥٦ ــ المختصر في علم رجال الأثر للأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ، الطبعة الثالثة •

٥٧ ــ الأعلام لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية •

٥٨ ــ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن ابراهيم حسن ، الطبعة السادسة •

٥٩ ــ قادة فتح الشام ومصر ، محمود شيت خطاب ، دار الفكر ، بيروت •

٦٠ ــ السلام والحرب في الاسلام ، محمد فرج ، دار الفكر العربي بمصر •

فهـــرس

الموضوع	الصفحة
هذا الرجل	٣
مقدمة الكتاب	٥
تمهيـد	١٣
الفصل الأول	
حياة عبادة الشخصية	٢٣
الفصل الثاني	
عصر عبادة	٤١
الفصل الثالث	
حياته الأدبية ومقوّماته الذاتية	٥٧
الفصل الرابع	
جهاده في سبيل الله والحق	١٠٣
الفصل الخامس	
منزلته العلمية	١٤٥
خاتمـة	١٧٣
المراجـع	١٧٧

أعلام المسلمين

سلسلة كتابية هادفة تترجم
لأعلام المسلمين في شتى الميادين

تترجم هذه السلسلة لأعلام المسلمين وقادتهم، الهداة الدُّعاة المخلصين، الذين عاشوا لهذا الدين: يخدمونه، ويبذلون النفس والنفيس من أجله، والذين كان همّهم الأعظم في حياتهم نصرته، ورفع لوائه، ودعوة الناس إليه، ومجاهدة أعدائه بالقلم واللسان أو بالسيف والسنان.

وستتّسع إن شاء الله تعالى لرجالات الإسلام العِظام، من عهد الصحابة رضي الله عنهم وإلى يوم الناس هذا، وستكون بعونه تعالى فتحاً جديداً في عرض تاريخ الإسلام، ممثلاً في سير أعلامه، الذين كان لهم أكبر الأثر في حياة المسلمين وتاريخهم على مرِّ العصور.

يشترك في تحريرها نخبة من أصحاب الأقلام الإسلامية الواعية.